جهود

سماحة الشيخ العلامة

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

في تفسير القرآن الكريم

د. محمد بن سريع بن عبدالله السريع

الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه

رئيس مجلس إدارة الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه (تبيان)




بسم الله الرحمن الرحيم



تقريظ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فيطيب «لمؤسسة الشيخ عبدالعزيز بن باز الخيرية» أن تضع بين يدي القارئ الكريم هذا الكتاب الموسوم بـ (جهود الشيخ عبدالعزيز ابن باز ـ رحمه الله ـ في تفسير القرآن الكريم) لمؤلفه فضيلة الشيخ/د. محمد ابن سريع بن عبدالله السريع.

وهو بحث متميز في بابه لم يقتصر فيه الباحث على ما هو مدون ومسطور في مصادر الإرث العلمي لسماحة الشيخ ـ رحمه الله ـ المقروءة والمسموعة، بل جاوز ذلك إلى السعي إلى مقابلة طلاب الشيخ ومرافقيه في عدد من المناطق، والنقل المباشر عنهم زيادة في التدقيق وإثراءً للمعلومة، فضلاً عن كون المؤلف ذاته ممن تتلمذوا على سماحة الشيخ ـ رحمه الله ـ وكانوا يلازمون بعض دروسه، وأصل هذا الكتاب ورقة علمية قدمها المؤلف إلى: (ندوة جهود سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ في خدمة القرآن الكريم).

التي أقامتها الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه ومؤسسة الشيخ عبدالعزيز بن با الخيرية ضمن إطار جهود التعاون والتنسيق بين الجهات العلمية والخيرية التي تضطلع بها الجهتان، وقد أقيمت الندوة في قاعة المحاضرات بجامعة الملك سعود بمدينة الرياض يوم الثلاثاء الموافق: (١٢/٠٢/١٤٢٩هـ) برعاية سماحة مفتي عام المملكة الشيخ/ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ ووكيل جامعة الملك سعود، وبحضور عدد من المهتمين.

ولما تضمنه هذا البحث المميز من معلومات نافعة وموثقة؛ اتجهت الهمة إلى طباعته وإخراجه للقارئ الكريم، والله ولي التوفيق.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

مؤسسة

الشيخ عبدالعزيز بن باز الخيرية

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون به أهل العمى، ويدلون من ضل منهم إلى الهدى، وينفون عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد عني أهل العلم قديماً وحديثاً بكتاب الله تعالى، تعلماً وتعليماً، وشرحاً، وتفسيراً، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]، وقوله ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**».

فصنفوا في تفسيره وبيان علومه المصنفات، وعقدوا في ذلك الحلقات، وأمضوا فيه الأعمار، وأشغلوا فيه الأفكار؛ فأخرجوا للأمة تراثاً عظيماً في خدمة كتاب الله تعالى، وبيان معانيه، وصونه من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

ولقد كان من هؤلاء الأعلام سماحة الإمام عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز رَحِمَهُ اللهُ الذي كانت له جهود علمية عظيمة في تفسير كتاب الله تعالى والعناية به.

وإني لأحسب أن الحديث عن هذا الإمام ونشر علمه، وبث

---

(١) سورة ص، الآية (٢٩).

مآثره، وذكر مناقبه قربة يتقرب بها إلى الله، فكيف إذا انضم إلى ذلك الحديث عن القرآن الكريم وتعلمه وتفسيره، وأحكامه، وفضائله.

لقد عرفت هذا الإمام فلزمت عدداً من دروسه آخر حياته، وأكلت على مائدته، وبت بمنزله في السفر، فرأيت من حلمه وعلمه وخلقه وعبادته وورعه شيئاً يقل نظيره.

وقد أحببت في هذا البحث أن أبيّن هذه الجهود، وأبرزها خدمة للعلم وأهله، ووفاء بحق هذا الإمام، ورداً لبعض جميله علينا[١].

وإن تتبع جهود العلماء ـ رحمهم الله ـ وإبراز تراثهم، والكشف عن مؤلفاتهم وآثارهم من أهم أبواب الدراسات العلمية؛ سيما إذا كان أولئك من النفر الراسخين في العلم المحققين لمسائله.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- صلته بكتاب الله تعالى.

٢- المكانة العلمية التي تبوأها الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله فهو إمام من أئمة الدنيا، وأحد مجددي هذا العصر بلا مراء.

٣- إبراز جهود علماء المملكة العربية السعودية في تفسير القرآن الكريم .

---

(١) أصل هذا الكتاب ورقة قدمت في الندوة التي أقامتها الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه (تبيان) وكان موضوعها: جهود سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في خدمة القرآن الكريم وعلومه بتاريخ ١٤٢٩/٢/١٢هـ، وقد راعيت فيها الاختصار قدر الإمكان بما يناسب الوقت، وإلا فإن أخبار الشيخ رحمه الله واستقصاء الأمثلة على جهوده العلمية والعملية، وعرض اختياراته يطول جداً، وقد اجتمع عندي فيها - خصوصاً في التفسير - مجموعة وافرة، ولله الحمد والمنة.

٤- كما أن فيه إظهاراً لجهود علماء أهل السنة والجماعة في هذا المجال.

٥- الوفاء ببعض حق هذا الإمام على طلابه ومحبيه، والناهلين من معين علمه.

٦- أنه لا توجد دراسة علمية تناولت هذا الموضوع بالبحث.

أهداف البحث:

١- بيان عناية الشيخ عبدالعزيز بن باز بالقرآن الكريم وعلومه، وأبرز مظاهرها.

٢- بيان جهود الشيخ في تفسير القرآن الكريم.

خطة البحث:

انتظمت خطة البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس على النحو التالي:

المقدمة:

وبينت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وخطته والمنهج في كتابته .

المبحث الأول: الشيخ عبدالعزيز بن باز، حياته وعلمه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ترجمة موجزة للشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله.

المطلب الثاني: حياة الشيخ عبدالعزيز بن باز العلمية.

المبحث الثاني: عناية الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالقرآن الكريم وتفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مظاهر عناية الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالقرآن الكريم.

المطلب الثاني: أسباب نبوغ الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التفسير.

المطلب الثالث : خصائص تفسير الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المبحث الثالث: جهود الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير القرآن الكريم

وفيه بيان الجهود التي قام بها رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير القرآن من خلال التصنيف والتدريس والشرح والمحاضرات، في حياته كلها سواء في الدلم أو الرياض أو المدينة النبوية أو الطائف أو غيرها.

مع بيان مظان وجودها، وكيفية الحصول على الموجود منها.

الخاتمة:

وبينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

الفهرس:

منهج البحث:

سأسلك في البحث منهج الجمع والتتبع ، ثم الوصف والتحليل لجهود الشيخ في التفسير.

وفيما يتعلق بكتابة البحث فإني سأسير على الخطوات التالية:

١- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مبيناً أرقامها.

٢- خرجت الأحاديث النبوية من كتب السنة؛ فإن كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بتخريجه منهما، وإلا اجتهدت في تخريجه من كتب السنة مبيناً درجته من خلال النقل عن أئمة هذا الشأن.

٣- لم أترجم للأعلام طلباً للاختصار .

٤- أخرت ذكر بيانات المراجع إلى فهرس المراجع.

٥- نظراً لجدة البحث ومعاصرته فإن جزءاً من مادته العلمية ليست مثبتة في الكتب والمراجع، ولذا فإني سآخذها مشافهة من تلاميذ الشيخ ومرافقيه من خلال النقل المباشر عنهم لزيادة التوثيق .

والله أسأل أن يغفر لنا وللشيخ ولجميع المسلمين والمسلمات، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

❊ ❊ ❊

المبحث الأول

الشيخ عبدالعزيز بن باز حياته وعلمه

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: ترجمة موجزة للشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله.

المطلب الثاني: حياة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله العلمية.

المطلب الأول

ترجمة موجزة للشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله

شيخ الإسلام ، ومفتي المسلمين، الإمام العلم، الحجة، المجتهد، المحقق المدقق، أبوعبدالله، عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن باز [١].

ولد في ذي الحجة سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف للهجرة[٢].

كان بصيراً أول حياته، يقول رحمه الله :«ثم أصابني المرض في عيني عام ستة وأربعين وثلاثمائة وألف للهجرة فضعف بصري بسبب ذلك ، ثم ذهب بالكلية في مستهل محرم من عام خمسين وثلاثمائة وألف للهجرة والحمد لله على ذلك، وأسأل الله جل وعلا أن يعوضني البصيرة في الدنيا، والجزاء الحسن في الآخرة، كما وعد بذلك سبحانه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، كما أسأله سبحانه أن يجعل العاقبة حميدة في الدنيا والآخرة»[٣].

وكان رحمه الله يقرأ ويكتب قبل أن يذهب بصره، يقول رحمه الله :«أنا أقرأ وأكتب قبل أن يذهب بصري، ولي تعليقات على بعض الكتب التي قرأتها على المشايخ مثل الأجرومية في النحو، وغيرها»[٤].

يقول الشيخ محمد الموسى: «إذا أملى سماحة الشيخ عليَّ كتاباً

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١/ ٩)، جوانب من سيرة الإمام، ص(٣٣)، الإنجاز، ص (٣٥).

(٢) المراجع السابقة (المواضع نفسها).

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١/ ٩).

(٤) جوانب من سيرة الإمام، ص (٣٦).

أو تعليقاً، وكان هناك إشكال في كلمة ما، قال لي: يُكتب هكذا، وأشار إلى راحة يده، وهو يكتب بأصبعه، يريني كيفية الكتابة الصحيحة» .أ.هـ[١].

توفي والده وهو صغير عام **١٣٣٣**هـ، وكان عمر الشيخ ثلاثة أعوام[٢].

أما والدته فتوفيت وعمره خمس وعشرون سنة.

وقد كان رحمه الله في صباه ضعيف البنية، حيث لم يستطع المشي إلا بعد أن بلغ الثالثة ـ ذكر ذلك ابنه أحمد ـ[٣].

كان رحمه الله مسارعاً إلى الخيرات منذ مقتبل عمره، معروفاً بالتقى، والمواظبة على الطاعات، ملازماً للمسجد، ذا جود وكرم، وبذل للمعروف.

يقول رحمه الله: «كنت في مقتبل عمري وقد رآني الشيخ صالح رحمه الله[٤] في طرف الصف مسبوقاً، فحزن الشيخ صالح، وقال: بعض الناس يُسوِّف، ويجلس يأكل ويشرب حتى تفوته الصلاة، وكأنه رحمه الله يعنيني ويُعرِّض بي، فخجلت مما كان، وتكدرت كثيراً ولم أنسَ ذلك الموقف حتى الآن»[٥].

---

(١) المرجع السابق (الموضع نفسه).

(٢) عبدالعزيز بن باز عالم فقدته الأمة ص (٣٠).

(٣) انظر: جوانب من سيرة الإمام ص (٣٥).

(٤) صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (ت ١٣٧٢هـ)، قاضي الرياض وأحد مشايخ الإمام ابن باز رحمه الله انظر: الإنجاز (ص ١٠٧).

(٥) جوانب من سيرة الإمام ص (٣٥).

عاش في مدينة الرياض، وترعرع فيها، وتلقى العلم على أكابر أهل العلم فيها، وكانت معالم النبوغ واضحة عليه، وأمارات التميز تلوح في محياه، وكان محل تقدير وإجلال ممن عرفه واتصل به.

وقد تقلد العديد من المناصب وقام بالكثير من الأعمال، ومن أبرزها:

١- القضاء في منطقة الخرج، لمدة أربعة عشر عاماً، من جمادى الآخرة عام **١٣٥٧**هـ إلى نهاية عام **١٣٧١**هـ.

٢- التدريس في المعهد العلمي بالرياض سنة **١٣٧٢**هـ.

٣- التدريس في كلية الشريعة بالرياض بعد إنشائها عام **١٣٧٣**هـ إلى عام **١٣٨٠**هـ، وكان يدرس علوم الفقه والتوحيد والحديث، وتتلمذت له، وتخرجت به الدفعات الأولى من كلية الشريعة.

٤- نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله منذ إنشائها عام **١٣٨١**هـ إلى عام **١٣٩٠**هـ.

٥- رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة **١٣٩٠**هـ بعد وفاة رئيسها سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم في رمضان عام **١٣٨٩**هـ، وبقي في هذا المنصب إلى سنة **١٣٩٥**هـ.

٦- وفي **١٤/ ١٠/ ١٣٩٥**هـ صدر الأمر الملكي الكريم بتعيينه رئيساً عاماً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٧- وفي **٢٠/ ١/ ١٤١٤**هـ صدر الأمر الملكي الكريم بتعيينه مفتياً عاماً للمملكة العربية السعودية، ورئيساً لهيئة كبار العلماء، ورئيساً

للجنة الدائمة للإفتاء[(١)].

وإلى جانب هذا كله فقد تولى رئاسة وعضوية العديد من الهيئات الإسلامية والعلمية، ومنها:

* رئاسة المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

* رئاسة المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة التابع لرابطة العالم الإسلامي.

* رئاسة المجلس الأعلى العالمي للمساجد.

* عضوية المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية.

* عضوية الهيئة العليا للدعوة الإسلامية بالمملكة العربية السعودية.

* رئيساً لدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة[(٢)].

كان تقياً زاهداً عاملاً بالسنة، معظماً لها، حاثاً على التزامها، حريصاً على شؤون المسلمين في أصقاع المعمورة، يقوم على أمورهم بالدعوة والتوجيه والنصيحة، وقضاء حاجاتهم، وسد خلتهم، ويتفقد شؤونهم الدينية والدنيوية.

وكان قائماً بأمر الدعوة إلى الله تعالى والنصيحة لعباده، وتعليم العلم، ونشره بين الناس في المساجد والمجالس ووسائل الإعلام.

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١/ ١٠)، عبدالعزيز بن باز عالم فقدته الأمة ص(٧٥)، جوانب من سيرة الإمام ص (٤٥).

(٢) انظر: المراجع السابقة.

المطلب الثاني

حياة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله العلمية

شيوخه:

نشأ الشيخ رحمه الله وترعرع في مدينة الرياض، وهي عاصمة المملكة العربية السعودية فكانت عامرة بالعلماء الكبار، يقصدها طلاب العلم لتلقي العلوم الشرعية على علمائها، وقد تتلمذ الشيخ رحمه الله لعدد من العلماء، ومنهم:

* الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت ١٣٦٧هـ).

* الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت ١٣٧٢هـ).

* الشيخ سعد بن حمد بن علي بن عتيق (ت ١٣٤٩هـ).

* الشيخ حمد بن فارس بن محمد بن فارس (ت ١٣٤٥هـ).

* الشيخ سعد وقاص البخاري[١]، كان يتردد عليه في دكانه بالشامية بمكة المكرمة عام خمسة وخمسين وثلاثمائة وألف للهجرة، مدة شهرين يدرس عليه القرآن والتجويد.

* الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت ١٣٨٩هـ).

وقد لازمه الشيخ ملازمة تامة عشر سنين، وتلقى عنه جميع العلوم

---

(١) لم أقف على تاريخ وفاة الشيخ سعد وقاص رحمه الله.

الشرعية ابتداءً من سنة سبع وأربعين إلى سنة سبع وخمسين حيث رُشح للقضاء من قبل سماحته رحمهما الله [(١)].

يقول الشيخ ابن باز عن شيخه محمد بن إبراهيم: «والله لاأعلم، ولا رأت عيناي قبل ذهاب بصري، ولا وقع في قلبي، أحسن منه تعليماً، وأكثر فقهاً رحمة الله عليه» أ.هـ[(٢)].

تلاميذه:

لقد انتفع من علم هذا الإمام فئام من الأمة لا يحصون من خاصتها وعامتها، وتتلمذ له الكثير من كبار أهل العلم ممن يعسر عدهم منذ أن جلس للناس في الدلم إلى أن توفاه الله، وسأذكر هنا بعض هؤلاء التلاميذ، وهم:

* معالي الشيخ راشد بن صالح بن خنين، المستشار بالديوان الملكي.

* الشيخ عبدالله بن حسن بن قعود رحمه الله، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

* الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن غديان، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

* الشيخ العلّامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، عضو هيئة كبار العلماء، والأستاذ بجامعة الإمام بالقصيم.

---

(١) انظر: انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١/ ٩).

(٢) سيرة وحياة الشيخ ابن باز (٢/ ٢١).وانظر في شيوخه: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١/ ٩)، القول الوجيز ص (١٣-١٤)، الإنجاز ص (٩٢-١١٢).

* معالي الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، رئيس المجلس الأعلى للقضاء سابقاً، وعضو هيئة كبار العلماء.

* معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء.

* سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ، مفتي عام المملكة ورئيس هيئة كبار العلماء ورئيس اللجنة الدائمة للإفتاء.

* الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ، عضو الإفتاء سابقاً.

* الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك، الأستاذ بكلية أصول الدين بالرياض.

* الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي، الأستاذ بكلية أصول الدين بالرياض .

* الشيخ فهد الحمين ، الأستاذ بكلية أصول الدين بالرياض.

* الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم بن قاسم، القاضي بالمحكمة الكبرى بالرياض سابقاً .

* الشيخ عمر بن سعود العيد، الأستاذ بكلية أصول الدين بالرياض.

وغيرهم كثير ممن تتلمذ للشيخ في الدلم والرياض والمدينة والطائف وغيرها[١].

---

(١) انظر تلاميذه في: القول الوجيز (٣٣-٤٦)، الإنجاز (١١٧-١٦٦).

مؤلفاته :

لقد خلف الشيخ مؤلفات نافعة في فنون وعلوم متنوعة، وهي كثيرة بحمد الله، وهذه طائفة منها[١]:

* الفوائد الجلية في المباحث الفرضية، وهو من أوائل ما كتب الشيح، وكانت طبعته الأولى عام **١٣٥٨**هـ.

* التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة، وقد جمعه عام **١٣٦٣**هـ، لما كان قاضياً في الخرج، ثم زاده وبسطه بعد ذلك، وقد طبع الكتاب طبعات كثيرة.

* الشيخ محمد بن عبدالوهاب، دعوته وسيرته.

* التحذير من البدع، وهو أربع رسائل مفيدة حول البدع.

* نقد القومية العربية.

* الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة.

* رسالتان موجزتان في الزكاة والصيام.

* العقيدة الصحيحة وما يضادها.

* ثلاث رسائل في الصلاة.

* وجوب العمل بسنة الرسول وكفر من أنكرها.

* وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه.

* حكم السفور والحجاب ونكاح الشغار.

---

(١) وجميع ما أذكره من مؤلفات الشيخ رحمه الله مطبوع.

* الجهاد في سبيل الله.

* الدروس المهمة لعامة الأمة.

* حاشية مفيدة على فتح الباري رحمه الله، وصل فيها إلى كتاب الحج.

* مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، قام على جمعها معالي الدكتور محمد الشويعر، وقد تمت في ثلاثين مجلداً بالإضافة إلى مجلد مستقل (كشاف وفهارس)[١].

مكانته العلمية:

لقد كان الشيخ رحمه الله إماماً من أئمة الدنيا، آية في العلم، أعجوبة في الحفظ، وهو ـ بلا مراء ـ من مجددي هذا القرن.

جمع الله له علوماً شتى، قلَّ أن تجتمع على هذا النحو من التحقيق والإتقان.

إذا تكلم في مسائل الاعتقاد رأيت من حسن التقرير، والصدور عن النصوص ما يقل نظيره.

وأما التفسير فهو فيه حامل الراية.

إمام في الحديث وعلومه، وتمييز صحيحه من سقيمه، ومعرفة رجاله وأحوال رواته.

فقيه من الطراز الأول، وفتاواه وأجوبته تنطق بذلك.

---

(١) انظر في مؤلفات الشيخ: مجموع فتاوى ومقالات (١/ ٩)، جوانب من سيرة الإمام ص (٥١).

إذا تحدَّثَ في التفسيرِ خلتَ له ... علمَ ابنِ عباسٍ فهو الحاذقُ الفهمُ
يُفصِّلُ الآي تفصيلاً يُبينُ به ... وجهَ الحقيقةِ حتى تنجلي الظلمُ
وإنْ جرى في ميادين الحديثِ ترى ... ثبتاً ضليعاً فلا خلطٌ ولا وهمُ
وإن تكلَّمَ في فقهٍ ونازلةٍ ... تلقَ الصوابَ مضيئاً ما به عتمُ
مجددُ العصرِ مهما قلتُ فيه فلا ... أزالُ نفسيَ بالتقصيرِ أتهمُ[(١)]

لست هنا بصدد الحديث عن علوم الشيخ رحمه الله أو ذكر ما قاله معاصروه من أهل العلم فيه، فإن هذا يضيق عنه المقام، ولكني أضع بعض المعالم في هذا التميز العلمي على وجه الاختصار.

الأول: إقباله على العلم، وانقطاعه له منذ نعومة أظفاره، وعدم تشاغله عنه بما يتشاغل به أقرانه وأترابه، فقد حفظ القرآن في سن مبكرة، وطلب العلم قبل البلوغ، وتتلمذ للعلماء[(٢)].

فهذا شيخه حمد بن فارس رحمه الله قد توفي وعمره خمس عشرة سنة، وشيخه سعد ابن عتيق رحمه الله توفي وعمره تسع عشرة سنة[(٣)]، فهذا يدل على أنه قد لزمهم وتلقى عنهم قبل هذه السن.

ثم إنه قد جلس إلى شيخه محمد بن إبراهيم رحمه الله وانقطع إليه وعمره سبع عشرة سنة. مع العلم أنه قد جلس إلى الشيخ صالح بن عبدالعزيز (قاضي الرياض) أولاً قبل جلوسه إلى هؤلاء فهو أول من قرأ عليه من الشيوخ[(٤)].

---

(١) من قصيدة الشاعر: موسى القرني، انظر: إمام العصر ص (٧٤٨).
(٢) انظر: عبدالعزيز بن باز عالم فقدته الأمة ص(٢٣٧)، الإنجاز، ص (٩٠).
(٣) انظر: ما سبق في ذكر شيوخه.
(٤) انظر: الإنجاز ص (١٠٧)، عبدالعزيز بن باز عالم فقدته الأمة ص (٢٥٥).

الثاني: ما منَّ الله عليه من ملكات فطرية، ومواهب شخصية، من قوة الحفظ وسعة الإدراك، وتوقد الذهن، وشدة الذكاء، والألمعية النادرة، وحسن الفهم للمسائل وجودة تصورها .. كل هذا ـ بعد فضل الله وتوفيقه ـ كان له كبير الأثر في علو شأنه، وسعة علمه، واعتراف الناس بفضله.

الثالث: تنوع معارف الشيخ رحمه الله وبروزه في كثير من الفنون، وإتقانه كثيراً من العلوم كالتفسير والعقيدة، والحديث والفقه، وما يحتاج إليه من علوم الآلة، وغير ذلك.

ويشهد لذلك العلومُ والكتبُ التي يدرسها لتلاميذه في حلق العلم، فهو يدرس التوحيد وأصول الدين والحديث وعلومه والتفسير والفقه والفرائض والأصول والمقاصد والنحو وغير ذلك، وهو يدرسها لتلاميذه تدريس المتقن لها، المتمكن من تحرير مسائلها[١].

كما يشهد لذلك أجوبته وفتاواه، فهو رحمه الله يفتي في جميع مجالات الحياة وفروع العلم الشرعي، في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك وغير ذلك[٢]، وهي فتاوى يظهر عليها من نور الوحي، والصدور عن الأصلين، وجودة التحرير، ودقة العبارة ما ينبيك عن تمكن هذا الإمام ورسوخ قدمه في العلم.

الرابع: نبوغه المبكر، وتمكنه من العلوم في مقتبل عمره، حتى شهد له بذلك الخاص والعام، ورشحه شيخه سماحة الشيخ محمد ابن إبراهيم رحمه الله لتولي القضاء وهو ابن سبع وعشرين سنة، وبرز في

(١) انظر: جوانب من سيرة الإمام ص (٤٢).
(٢) انظر: إمام العصر ص (٥١).

العلم، وأفتى في المسائل الكبار وهو في الثلاثين من عمره، وصنف كتابه: "الفوائد الجلية في المباحث الفرضية" وكانت طبعته الأولى سنة **١٣٥٨**هـ، وكتابه "التحقيق والإيضاح"سنة **١٣٦٣**هـ.

الخامس: ما بسط الله تعالى له من طول العمر، وما نسأ له في الأجل، حيث كانت سحابة عمره المبارك تسعين عاماً تقريباً، فقد ولد عام **١٣٣٠**هـ، وتوفي عام **١٤٢٠**هـ، فإذا كان قد قضى وأفتى وصنَّف وحصَّل ودرَّس في الثلاثين، فما ظنك بما ناله في عقد الثمانين والتسعين.

لقد مرَّ على الشيخ رحمه الله أفواج من المتعلمين وأجيال من المتلقين وإذا كان ممن تتلمذ للشيخ مَنْ هم في مثل سنه، فإنه قد تتلمذ له مَنْ هم في مثل رتبة أحفاده وأبناء أحفاده.

تسعون عاماً ما فتئتَ تُنيرُها بالفضلِ تذكرُ هديَكَ الأعوامُ(١)

السادس: ومن رحمة الله تعالى به وبالأمة أن توفاه وهو في كامل قواه، ممتع بحواسه لم يتغير فهمُه، ولم يلتبس إدراكُه أو يختلط.

السابع: ومع هذا كله؛ وقبله وبعده، فهو محض فضل الله، يؤتيه من يشاء.

إن تجرده من حظوظ الدنيا وزهده فيها، وانقطاعه عن الالتفات إلى المخلوقين، وإقباله على الله تعالى بكليته ـ كذا نحسبه ولا نزكي على الله أحداً ـ كان له أعظم الأثر على علمه ووقته وبركته، وقبول الناس لأقواله، وصدورهم عن آرائه.

---

(١) من قصيدة للشاعر: خالد الخنين، إمام العصر ص (٥٣٦).

وبعد:

فليس المقصود هنا بسط ترجمة هذا الإمام العظيم، ولا ذكر مناقبه ومآثره، فإن هذا يضيق به المقام، ولكني أشير هنا إلى سمتين قلَّ أن تجتمع في أحد من الرجال، أرى أنها من أبرز سمات الإمامة في حياة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ.

الأولى: لقد كانَ الشيخُ ابنُ باز رَحِمَهُ اللهُ إماماً جامعاً لكثيرٍ من أبوابِ البرِ، حائزاً على كثيرٍ من خصالِ الخيرِ، التي ربما عجزَ عن بعضِها كثيرٌ من الناس.

إنك قد تجدُ من هو عالمٌ متبحر، وقد تلفي من هو زاهدٌ في زخرف الدنيا ومتاعها، وإنَّ نماذجَ الكرمِ والجودِ في حياةِ الناسِ لا تخطئُها عينُك، وليس تخلو أمة محمد ﷺ ممن نصب نفسه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع عن حوزة الدين ، وقد تجد من قام على أمور المسلمين وقضاء حوائجهم...

ولكنك لا تجد من نهض بهذا كله وغيره، من غير وكس ولا شطط.

لقد كان رَحِمَهُ اللهُ إماماً في الزهد، بحراً في العلم بكل فنونه، حاتمياً في الكرم يُعرف عنه ذلك منذ صغره عالمي الهم والفكر، يقوم على أمور المسلمين في داخل البلاد وخارجها، أجرى الله تعالى على يديه الكثير من مشاريع الدعوة والإصلاح، بذل وقته وفكره وجاهه في سبيل الله.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "لم يكن العلم الغزير وحده الذي ميّز ابن باز بل ميزه كذلك قوة إيمانه، وغيرته على دينه، واهتمامه بأمر أمته، وتحرقه على مآسي المسلمين، وحسن خلقه في معاملة

الناس، ورحمته بالصغير، وتوقيره للكبير، ومعرفته بحق أهل العلم من إخوانه وإن اختلفوا معه"[١].

يا رائدَ العلمِ في هذا الزمانِ ويا مجدد العصر في علمٍ وأعمال
حقاً فقد عرفَ التاريخُ كوكبةً مضيئةً من صناديدٍ وأبطالِ
لكننا يا (حبيبَ القلبِ) نبصرُهم كأنما مثلوا في شخصكَ الغالي[٢]

الثانية: لقد كان الشيخ رحمه الله محل إجماع من الجميع، ومكان اتفاق من الخاصة والعامة، والحكام والمحكومين، والموافق والمخالف، فلا أظن أن أحداً من أهل عصره قد أوتي من القبول مثل ما ناله الشيخ، أو حظي بحب كالذي جرى لهذا الإمام .. بل حتى الذين اختلفوا مع الشيخ كانوا يُقرون بإمامته، ويُذعنون لولايته ويُكنون له وافر الحب والتقدير، وما ذاك ـ والله أعلم ـ إلا لما عرفوا عنه من الصدق والإخلاص، والنصح وحب الخير للأمة جميعاً، وقبل ذلك وبعده: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾[٣] [٤].

لقد أحبه وانتفع به من لزمه وجالسه، كما أنه لم يُحرم من علمه ونفعه من نأت داره عنه، يقول الشيخ ابن عثيمين في رسالة للشيخ ابن باز عام ١٣٨١هـ: "والحقيقة يا شيخ أنني أحب الاتصال بكم، لأن

---

(١) إمام العصر (ص ٣١٢).

(٢) المرجع السابق (ص ٣٩).

(٣) سورة مريم، الآية (٩٦).

(٤) يقول الشيخ عبدالعزيز الراجحي بعد أن قرأتُ عليه هذا الموضع ـ: "ومن ادلة ذلك الكتابات الكثيرة عنه في الصحف والمجلات بعد وفاته".أ.هـ .
ويقول الدكتور عبدالعزيز قاري: "قال لي أحد رؤوس المخالفين : إنه لا يوجد في الوهابيين وليٌ. فقلت: بلى، وسأذكر لك شخصاً لا تسطيع أن تنكر ولايته، فقال: مَنْ؟ فقلت: الشيخ ابن باز. فقال: نعم".

اتصالي بك يزيدني علماً وإيماناً، أقول ذلك لأنني جربته ولله الحمد"[١]. أ.هـ.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "لا أعرف أحداً يكره الشيخ ابن باز من أبناء الإسلام إلا أن يكون مدخولاً في دينه، أو مطعوناً في عقيدته، أو ملبوساً عليه"[٢]. أ.هـ.

لقد عبر الناس عن هذا الحب في حياته كثيراً، ولكنهم عبروا عنه بعد مماته أكثر، فقد بكاه الجميع بلا استثناء، وحزنت على فقده الأمة قاطبة.

أمالَ له اللهُ الكريمُ بلطفهِ ... قلوبَ البرايا فهي مِنْ حبهِ وسَنْى[٣]

ويقول الدكتور محمود سفر: "لقد أجمع الناس على محبته وإن اختلفوا حول أسباب تلك المحبة الغامرة له:

فمنهم من أحبه لورعه وتقواه .. ومنهم من أحبه لتواضعه وزهده.. ومنهم من أحبه لعلمه وفقهه .. ومنهم من أحبه من أجل كل تلك الصفات ... لكنهم أجمعوا جميعهم على محبته.

وإن اختلفت الناس على أسباب محبة الشيخ عبدالعزيز بن باز، فإنهم كانوا جميعاً صادقين في محبته، فقد كان للشيخ رحمه الله العديد من الصفات الحسنة والأخلاق الكريمة بجانب غزارة علمه وفقهه، فهو ورع وتقي، ومتواضع وعالم، وفقيه وزاهد وذكي.

---

(١) الرسائل المتبادلة (ص ٤٠١).

(٢) إمام العصر (ص ٣١٤).

(٣) المرجع السابق (ص ٥١٦).

لقد لقي الشيخ ابن باز ربه وقد أجمع الناس على محبته، فقد كان نموذجاً للعالم المتمكن من علمه، الواثق من دينه، المدافع عن عقيدته، الداعي إلى ربه بالموعظة الحسنة والحكمة السديدة، البسيط المتواضع في مظهره، الواثق المتمكن في مخبره[١].

❊ ❊ ❊

(١) المرجع السابق (ص ٢٨٢).

المبحث الثاني

عناية الشيخ عبدالعزيز بن باز بالقرآن الكريم وتفسيره

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مظاهر عناية الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله بالقرآن الكريم وتفسيره.

المطلب الثاني : أسباب نبوغ الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله في التفسير.

المطلب الثالث: خصائص تفسير الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله.

المطلب الأول

مظاهرعناية الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله بالقرآن الكريم وتفسيره

لقد كان الشيخُ رحمه الله عظيم العناية بكتاب الله، شديد الحفاوة به، كثير الإقبال عليه؛ قراءةً وتدبراً، وتعليماً وتفسيراً.

إن كلَ مصاحبٍ للشيخ، وعارف به، يُحدثك عن هذا الأمر الذي هو سمة من سمات شخصيته ومعلمٌ من معالمِ حياتهِ:

وكتابُ الله في قبضتهِ رايةٌ بين ذراعي جعفرٍ [(١)]

ولقد أخذت هذه العنايةُ صوراً شتى علماً وعملاً، في حياته الخاصة والعامة، وبرزت من خلالِ مظاهرَ عديدة، لعل أهمها:

أولاً: حفظه المتقن المتمكن لكتاب الله تعالى، فلا يكاد يخطئ في تلاوته، أو يتلعثم عند قراءته، أو يطلب الفتح عليه.

حدثني الشيخ إبراهيم الأخضر القيم شيخُ القراء في المدينة المنورة قال: "لقد كان حفظُ الشيخِ للقرآنِ الكريم متقناً جداً، فسبحان الذي أعطاه، إن حافظته ليست محِلَ سؤال، لقد كان شيئاً نادراً".أ.هـ.

ومن مظاهر هذا التمكن أنه ربما ارتجل الكلمة على البديهة، أو شرع في إجابة سؤال مفاجئ، فإذا به يسوقُ مع الآية أخواتها، ويورد مع الاستشهاد أمثاله متتابعاً دون توقف، متدفقاً دون إبطاء، وربما كانت الآيات من المتشابه اللفظي فلا يكادُ يخطئ في شيء منها.

يقول الشيخ محمد الموسى: "لا أعرف أن الشيخ أخطأ في شيء

---

(١) من قصيدة للشاعر: محمد الهويمل، إمام العصر (ص ٧٤٤).

من المتشابهات، بل كان إذا أملى آية، وقلنا: أليست كذا؟ قال: لا، تلك في سورة كذا وكذا"[١]. أ.هـ

ثانياً: عنايتُه بتدريس التفسير وتعليمه للطلاب، من خلال إلقائه أو تدريس شيء من كتب أهل العلم في هذا الفن، ولذا فإنه قلَّ أن يخلو درسٌ من دروسه عن جزء مخصصٍ للتفسير، فمنذ أن جلس للناس حين كان قاضياً في الخرج وتدريس التفسير يلازمه لايكادُ ينفكُ عنه.

وربما قُرئ عليه الكتاب الواحد في التفسير في أكثر من درس من عدد من الطلاب.

إن مما هو مقطوع به أن لهذا الإمام أثراً بالغاً في بث علم التفسير، وتوجيه الطلاب للعناية به والإقبال عليه.

ولقد مضى الشيخ رحمه الله فترة من الزمن على افتتاح درسه في الجامع الكبير بالرياض بتلاوة آيات من القرآن يقرؤها أحد الطلاب، ثم يشرع الشيخ في تفسيرها وبيان معانيها.

ثالثاً: الاتصالُ الدائم بكتاب الله، والارتباط الذي لاينقطع به، وتحيّن الفرص للدلالة على فضله وربط الناس بحبله الوثيق، فمن ما هو معروف من سيرته رحمه الله أنه لا يكاد يجلس مجلساً، أو يزور أحداً أو يُدعى إلى مناسبة إلا ويأمر أحد طلابه أو مرافقيه بتلاوة شيء من القرآن ثم يفسر الآيات ويعلق عليها، ويبين معانيها.

وهذا المنهج لم ألتق أحداً ممن عرفَ الشيخَ قديماً ولا حديثاً إلا وهو يحدثني عنه ... الذين صحبوا الشيخ في الدلم أو الذي عرفوه

---

(١) انظر: جوانب من سيرة الإمام ص (٢٠٤).

في آخر حياته على حد سواء:

صحبتَ كتابَ اللهِ حلاً وراحلاً ... وإن طالت الأيامُ واتصلَ الدهرُ

تفسرُ آياتِ الكتابِ كأنما ... تقطّف من روضٍ يزينهُ الزهرُ[١]

وله في هذا الباب مواقف كثيرة، وحكايات لا تنسى، منها:

ما حدث به الشيخ محمد الموسى قال: "زار صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية سماحة الشيخ في الطائف في آخر حياته، وذكر أنه لما توفي الملك عبدالعزيز رحمه الله في الطائف، وجاء خبر وفاته وأن جثمانه سوف يأتي في وقت كذا، وذهبنا إلى مطار الرياض: إخوان الملك عبدالعزيز وأبناؤه والعلماء والأعيان، وكنا في انتظار وصول الجنازة، طلب سماحته من سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله أن يأذن لبعض الحاضرين أن يقرأ ما تيسر من القرآن، ووافق الشيخ محمد رحمه الله على ذلك"[٢].

قلت: انظر إلى اغتنامه رحمه الله للوقت وحفظه له، وعنايته بالقرآن وإقباله عليه، ورعايته لحق شيخه وأدبه معه ... فسبحان من أنعم عليه بهذا سجية دون تكلف، وطبعاً لا تطبع.

ومنها: ما ذكره الشيخ عبدالرحمن بن جلال حفظه الله ـ وهو من خواص الشيخ في الدلم ـ قال: "خرجنا مع الشيخ رحمه الله في نزهة برية، وذلك للمذاكرة، والراحة، وجلسنا في حلقة علم وأنس وتذكير ورياضة واتباع للسنة، وقراءة عامر في بطون الكتب، فلما جاء المساء نزل مطر غزير، وكان معنا حمار نحمل عليه البسط ولوزام السفر، فلجئنا إلى

(١) للشاعر الأستاذ: حاتم بن راشد العتيبي (غير منشورة) في مدح الشيخ رحمه الله.
(٢) انظر: جوانب من سيرة الإمام ص (١٧٠).

بعض الفرش والعباءات نتدثر بها، واشتد الأمر، فالمطر عظيم والظلام كثيف، حتى آوانا الظلام إلى أهل نخل أشعلوا شيئاً من جريد النخل فاستطعنا أن نصل إليهم بعد لأي ولأواء، وكبير تعب وعظيم عناء، فلما دخلنا واستقر بنا المقام، قال الشيخ رحمه الله رافعاً صوته: ابن جلال !! معك آيات من كتاب الله، اقرأها واجعلها من حزبك، فعرفت أنه يريد أن تكون القراءة طويلة، وقال: سمّ اقرأ، فعجبنا من ذلك أشد العجب، فقرأت من سورة الأعراف من أولها إلى ذكر قصة نوح عليه السلام، ففسر الآيات تفسيراً رائعاً، يبكي فيه أحياناً ويفسر أحياناً "[1].أ.هـ.

حدثني الدكتور عبدالله الأهدل ـ أحد تلاميذ الشيخ في المدينة ـ قال: " كنا إذا اجتمعنا مع الشيخ في لقاء أو احتفال أو رحلة أمر أحد الطلاب أن يقرأ القرآن، ثم يفسر الآيات ويوضح معناها، وكان يحب قراءة الشيخ محمد أيوب، ويأمره أن يقرأ إذا كان موجوداً، ويثني على قراءته". أ.هـ.

وحدثني الدكتور عبدالعزيز القارئ قال: "كان الشيخ رحمه الله يفتتح جلسات المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالقرآن ويختمها بالقرآن، وكان يفتتح المحاضرات التي تلقى في الجامعة بالقرآن، وكان يحثني أن يكون القارئ مجوداً حسن الصوت، وكان يوجهني أن تكون القراءة طويلة، وأحياناً يقول: من طوال المفصل، وكان الذين يقرؤون في المجلس الأعلى للجامعة :أنا، والشيخ عبدالله الزايد، والشيخ عبدالقوي عبدالمجيد.

(١) جريدة الرياض، العدد (١١٢٩٢)، الإنجاز ص (٢٤٢).

قال أيضاً : كان الشيخ يدعونا لما كان في المدينة في كل شهر إلى جلسة خارج المدينة ـ في الصيف ليلاً وفي الشتاء نهاراً ـ وكان يدعو نحواً من عشرين من الإخوة وأهل العلم، وكان اللقاء يُعمر بالقراءة في الكتب والمذاكرة والنقاش العلمي في جو لا يخلو من الانبساط والأنس، وكان يفتتح الجلسة بالقرآن وتفسيره، وذات مرة أمرني أن أقرأ وقال: "اقرأ حزباً" فلما قدرت أن القراءة ستطول والحال حال نزهة قرأت حدراً، فتبسم وقال: "ليش العجلة، حنا جالسين" وكان يعلق أثناء القراءة فتكون القراءة أطول من التي أطول منها ".أ.هـ.

قال الشيخ تقي الدين الهلالي فيه:

بتفسيرِ قرآنٍ وسنةِ أحمد يُعمِّرُ أوقاتاً وينشرُها دراً[1]

رابعاً: تأثره العميق بالقرآن الكريم، وظهور معاني اليقين والخشوع والبكاء عند سماع تلاوته وتفسيره، تأثراً يتجددُ مع كل تلاوة، ويتكرر في دروسه كثيراً؛ يقوى على إخفائه حيناً، ويغلبه فيظهر أحياناً أخرى.

تأثراً ينبئ عن قلب يحيا مع القرآن، ونفس شفافة أضاءت بأنواره.

حدثني الشيخ إبراهيم الأخضر، قال: "لم أر في حياتي أحداً يستمع القرآن مثل الشيخ ابن باز، كنت أتأمل في وجه الشيخ أثناء القراءة فكان يتغير ويتأثر، لقد كان في سماعه للقرآن عجيب جداً، كنت تشعر كأنه يُحس بكلِ حرفٍ، وكلِ حركةٍ على كل حرف"أ.هـ.

---

(١) انظر: الرسائل المتبادلة (ص ٣٣٥).

حالةُ الشيخ هذه مع القرآن وتفسيره كانت درساً آخر لطلابه، وموعظةً بليغةً في الانتفاعِ من كتاب الله.

قال ابنُ الجوزي عن شيخه الأنماطي: "كنتُ أقرأ عليه وهو يبكي، فاستفدت ببكائه أكثر من استفادتي بروايته، وانتفعت به مالم أنتفع بغيره"[١] أ .هـ.

لقد كان رَحِمَهُ اللهُ سريع العبرة، متدفق الدمعة، عميق الفكرة، حاضر الخشوع .

يقول الشيخ ابن جلال: "كنت أقرأ على الشيخ في تفسير ابن كثير، وكان طيلة هذه القراءة ما بين شرح وتذكير، وما بين تضرع وبكاء وخشوع، حتى أنه في بعض الليالي ينسى الوقت مع الخشوع حتى يذهب وقتٌ كثير"[٢] أ.هـ.

وحدثني ابنه الشيخ أحمد قال: "كان كثير التأثر إذا سمع القرآن، وخصوصاً قصص الأنبياء عليهم السلام، وأحوال الأمم السابقة، وكل مرة تمر عليه يتأثر ويبكي وكأنه لأول مرة يسمعها".ا.هـ.

وحدثني الشيخ أحمد العرفج قال: "كان رَحِمَهُ اللهُ كثير البكاء عند سماع التفسير، مع أنه يخفي بكاءه فلا يُفطن له في كثير من الأحيان، وأحياناً يُغلب فيظهر بكاؤه، وأكثر ما رأيته يبكي عند قصة الإفك في سورة النور".أ.هـ.

خامساً: "إنني أهيب بجميع الدارسين والمدرسين، إلى أن يُعنوا

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٣٦).
(٢) الإمام ابن باز، حياته في الدلم، لقاء مسجل على الكاسيت.

بكتاب الله ـ أستاذاً وطالباً وموظفاً ـ أنصح الجميع أن يُعنوا بكتاب الله، تلاوة وتدبراً وتعقلاً، وعملاً وحفظاً، ففي كتاب الله الهدى والنور، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [1] [2].

"وأوصي الجميع بالعناية بكتاب الله عز وجل دراسة وتلاوة وتدبراً، وحرصاً على معرفة المعنى، وعملاً بذلك، مع الحفظ لما تيسر من كتاب الله، وهو أعظم كتاب وأصدق كتاب، فقد أنزله الله رحمة للناس، وشفاء لما في الصدور ..." [3].

هذه هي وصاياه . . وهكذا كان توجيهه.

كان شديد الحث على كتاب الله، عظيم الوصية به، يرشد الأمة عامة، وطلاب العلم خاصة وكلَ من سأله الوصية: إلى العناية بكتاب الله وفهم معانيه وتدبر آياته والعمل به.

وهذا أشهر من أن يذكر، وكل من له أدنى معرفة بكلامه رحمه الله يعرف ذلك.

سادساً: كان يحثُ العلماءَ والقضاةَ على تعليمِ كتاب الله، وعقد الحلق لتفسيره وبيان معانيه.

ومن ذلك ما بعث به ـ لما كان في المدينة المنورة ـ إلى الشيخ سليمان بن عبدالعزيز السليمان رئيس المحكمة الكبرى بالدمام حيث يقول: "ثم يا محب لا يخفاكم حاجة الناس الشديدة إلى التعليم والإرشاد.

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٩).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١٤٦/٢٤).

(٣) المرجع السابق (الموضع نفسه).
وانظر: (١٠٧/٢٤، ١١١، ١١٣، ١٢٠، ١٣٤، ١٤٠).

لهذا أقترح على فضيلتكم أن تهتموا بالتدريس في الأوقات المناسبة لكم، ولو درساً واحداً بعد العصر أو بين المغرب والعشاء . . لعل الله ينفع بذلك . . إلى أن قال: والقصد هو النظر في هذا الأمر وبذل الوسع في إيجاد درسين أو أكثر في الأسبوع، يحضرها مَنْ أمكن حضوره من الأئمة والطلبة والعامة، ويكون ذلك إما في التفسير أو في الحديث ليعم النفع للجميع، وإذا رأيتم إيجاد درس خاص للطلبة الصغار والعامة في ثلاثة الأصول وشروط الصلاة، والقواعد الأربع، ثم في كتاب التوحيد والعقيدة الواسطية لتثبيت التوحيد والعقيدة السلفية في قلوب الناشئة والعامة فحسن، وإن لم يتيسر ذلك كفى ملاحظة ذلك في دروس التفسير والحديث لأنهما مليئان بجميع المواد العلمية فيما يتعلق بالعقائد وغيرها " [(١)] أ.هـ.

سابعاً: كثير من محاضراته وكلماته التوجيهية ومقالاته الكتابية هي في تفسير آية أو آيات من القرآن، تكون مادة لحديثه يكتفي بها عن غيرها، ويلج من خلالها إلى معالجة ما يرى أن الحاجة ماسة إليه من شؤون الناس وأحوالهم.

ثامناً: اعتماده في الاستشهاد والاستدلال على كتاب الله تعالى، وعنايته بالترجيح واستنباط الأحكام منه، وإذا راجعت كلامه رَحِمَهُ الله في كتبه أو محاضراته فإنك لا تكاد تغادر صفحة إلا وتجد فيها حشداً من الآيات.

---

(١) الرسائل المتبادلة، ص (٦٤٠).

وقد أحصيت استدلالاته القرآنية في رسالة «العقيدة الصحيحة ومايضادها» فبلغت (٥١) استدلالاً [١] مع أن الرسالة تقع في خمس عشرة صفحة.

وفي الرد الذي كتبه رحمه الله بعنوان: (بيان الأدلة على كفر من طعن في القرآن أو في الرسول عليه الصلاة والسلام) بلغت الاستشهادات القرآنية (١٣٨) ما بين جزء من آية أو عدد من الآيات، وهذا الرد يقع في(٤١) صفحة [٢].

وقد بلغت صفحات فهرس الآيات القرآنية في كتاب مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١٦٩) صفحة[٣].

وهذه ما هي إلا أمثلة توضح عنايته الشديدة بكتاب الله جل وعلا، واعتماده في الاستشهاد والاستدلال على آياته.

تاسعاً: دورُه الكبيرُ في إنشاء كلية القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية التي لم يكن لها مثيلٌ في العالم كله، واستقطابه أئمة الإقراء في العالم الإسلامي ليشاركوا في وضع مناهجها وخططها الدراسية، ويتولوا التعليم فيها ... ولقد كان له في هذا كله مآثر ومواقف تستحق أن تذكر وتنشر وتذاع فتشكر؛ فجزاه الله عن العلم وأهله وأمة محمد ﷺ خير الجزاء.

يقول الشيخ محمد المجذوب عن هذه الكلية: "هي الوحيدة من

(١) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١/١٣-٢٧).

(٢) انظر: المرجع السابق (١/٩٣-١٣٤).

(٣) انظر: كشاف وفهارس المجموع ص (١٩-١٨٨).

نوعها في العالم كله، وقد استُقبل افتتاحها بموجة من الاستبشار في أنحاء العالم الإسلامي، وتلقت الجامعة فيها تهاني أكابر علماء الإسلام"[١] أ.هـ.

عاشراً: إكرامه أهل القرآن، وحفاوته بهم، وتقديمه لهم، وحرصه على العناية بهم وذكر فضلهم، حدثني الدكتور عبدالعزيز القارئ قال: كنت أقدم محاضرة للشيخ رحمه الله أيام عمله في الجامعة الإسلامية فقدمت له بترجمة مختصرة ذكرت فيها بعض شيوخه، فلما أبتدأ الشيخ بالمحاضرة قال: أعرف أن المقدِّم ـ جزاه الله خيراً ـ ذكر بعض شيوخي اختصاراً . . . وهناك شيخ أحب أن أذكره في كل مناسبة هو الشيخ سعد وقاص البخاري، قرأت عليه القرآن والتجويد.أ.هـ.

يقول الدكتور عبدالعزيز القارئ: فكان كل من سمعه أكبر منه هذا الحرص رحمه الله .أ.هـ.

وكان رحمه الله عظيم الإكرام للأئمة والمشايخ والمقرئين الذين جاؤوا للتدريس في كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية شديد الحفاوة بهم، يظهر ذلك في كل مناسبة ومحفل، ومنهم: العلّامة عبدالفتاح القاضي

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم ص (٧٥).

ولقد كان لافتتاح هذه الكلية قصة لطيفة ذكرها الشيخ إبراهيم الأخضر والدكتور عبدالعزيز قاري يتجلى فيها علم الشيخ وإنصافه، وحبه للخير، وإن توليه لنيابة رئيس الجامعة الإسلامية ثم رئاستها هو من توفيق الله لهذا البلد المبارك وهذه الجامعة المباركة، فإن أهل المدينة لم يجتمعوا على أحد كما اجتمعوا عليه، ولم يحبوا أحدا كحبه، ولهم في ذلك قصص وحكايات كثيرة، وقد قال الملك سعود رحمه الله لما اجتمع به بعد أن تم ترشيحه ليكون نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية: "إن من حسن الحظ أن تكون يا شيخ عبدالعزيز مسؤولاً عن هذه الجامعة".أ.هـ. حدثني بذلك الشيخ: عبدالعزيز بن ناصر بن باز، فرحمهما الله جميعاً.

الذي كان الشيخ يبالغ في إكرامه والعناية به.

حدثني الدكتور عبدالعزيز القارئ قال: "وحدث للشيخ عبدالفتاح موقف تأثر منه جداً، فخرج من الكلية غاضباً، وعزم على مغادرة الجامعة والعودة إلى مصر، وطُلب مني أن أصحبه إلى الشيخ ابن باز ـ رحمهما الله ـ فأخذت بيده، وأنا لا أتكلم لما أرى عليه مخايل الغضب الشديد، فلما بلغنا مكتب الشيخ، إذ به يستقبل الشيخ عبدالفتاح على باب مكتبه، ويرحب به ويثني عليه، ويأخذه إلى صدر المكان ويجلس إلى جواره، وهو مستمر في الثناء عليه، وشكره والدعاء له، وذكر فضله، وما أجرى الله على يده من الخير، وخدمة كتاب الله ... فوالله ما نطق الشيخ عبدالفتاح بكلمة من شدة ما لقي من الإكرام، ولقد سُلَّ منه الغضب سلاً ... ثم التفت الشيخ ابن باز رحمه الله إليَّ وقال: يا عبدالعزيز أنت لك والدان، عبدالفتاح القارئ انتقل إلى رحمة الله، وعبدالفتاح القاضي ... ثم أوصاني به خيراً، وأن أكون في حاجته، وأمرني بملازمته، وقال: إذا احتاج شيئاً فأخبرنا عنه مباشرة.

فكان الشيخ عبدالفتاح القاضي رحمه الله يعجب أشد العجب من أخلاق هذا الإمام، وحسن معاملته، ويقول: ما رأيت مثل هذه الأخلاق ... هذه أخلاق السلف .أ.هـ.

الحادي عشر: دعمه لمدارس القرآن، وحلقات التحفيظ مادياً ومعنوياً، وكفالته معلمي القرآن الكريم في الداخل والخارج.

كان الشيخ رحمه الله ممن بذل وقته وجهده، وماله وجاهه في سبيل الله، وكان لا يُقْصر عن باب من أبواب الخير أو طريق من طرق البر إلا وسعى للمشاركة فيه، وحث المسلمين عامتهم وخاصتهم على ذلك.

ولقد كان لتعليم القرآن الكريم ومدارسه وجمعياته نصيب كبير من هذه العناية والدعم ـ مادياً ومعنوياً ـ.

وأكتفي في هذه المسألة بهذا التقرير الذي أعدته مؤسسة سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز الخيرية عن دعمه رَحِمَهُ اللهُ لجمعيات ومدارس القرآن الكريم، مع أني أشير إلى أن هذا الباب في حياة الشيخ لا يمكن لأحد أن يحيط به لأنه رَحِمَهُ اللهُ قد مُتِّعَ بِعُمْرٍ مديد ونشاط متعدد، وتعامل مع جهات كثيرة في مناطق متعددة، في الداخل والخارج.

فأجزم أن ما يعرفه البعض قد يخفى على آخرين، وما أدركه جيل قد فات جيلاً آخر، مع أن كثيراً منها قد يُسِرُّه العبد بينه وبين ربه ـ جل وعلا ـ، يقول التقرير: "تميز سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز بالعالمية فقد كان يعيش في المملكة العربية السعودية مقيماً في الرياض متنقلاً بين مكة والطائف والمدينة ومع هذا فقد كان عالماً ربانياً عالمياً دوى اسمه في كل قطر من أقطار الأرض فهو رَحِمَهُ اللهُ مفتي العالم، فلا يوجد بلد إلا له فيه حظ من الخير ونصيب من البر، وقَسْم من الذكر الحسن، كان مُلماً بأخبار المسلمين في أنحاء المعمورة رغم كونه لم يخرج من هذا البلد مطلقاً، لكن كتبه ورسائله ونصائحه وصلت إلى جميع أصقاع العالم، وكذلك دعمه المادي للأفراد والجمعيات والدعاة إلى الله ـ كما سيأتي ـ، فقد كان رَحِمَهُ اللهُ يقابل الدعاة ورؤساء المراكز في موسم الحج وفي المواسم الأخرى فهو رَحِمَهُ اللهُ كان يقابل الجميع ويتصل بهم ويسأل عن أخبارهم وعن مراكزهم وعن الدعاة التابعين لهذه المراكز وكان رَحِمَهُ اللهُ كريماً مضيافاً يسعد بمشاركة هؤلاء الدعاة ويسعى جاهداً لإيوائهم في بيته ويدعمهم مادياً ومعنوياً، ويشفع لهم عند أهل الخير والمحسنين، كل ذلك سعياً منه رَحِمَهُ اللهُ لتيسير العقبات عليهم وتذليل

المصاعب التي تقف في وجوههم.

كان رحمه الله مشجعاً على دعم المراكز الإسلامية وخاصة جمعيات تحفيظ القرآن الكريم في الداخل والخارج.

فمن الأمثلة[١] على ذلك الجهود التي كان يقوم بها سماحة الشيخ رحمه الله في دعم المؤسسات والجمعيات التي كانت تعنى بحفظ القرآن الكريم ونشره،وهذا الدعم قد يشمل أو يتمثل في الدعم المادي المباشر أو الشفاعة لهم عند أهل الخير لدعمهم أو تزكيتهم أو الكتابة لولاة الأمر لتبني دعم كامل المشروع أو كفالة المدرسين والمحفظين.

ففي الداخل (المملكة العربية السعودية):

كان رحمه الله من الداعمين لجمعية تحفيظ القرآن الكريم بالرياض [٢] وتوابعها، وجمعية تحفيظ القرآن الكريم بالطائف، وجمعية تحفيظ القرآن الكريم بوادي ليه بمحافظة الطائف.

وفي خارج المملكة، في الدول العربية ـ في اليمن مثلاً ـ كان رحمه الله من الداعمين لمدارس تحفيظ القرآن الكريم في اليمن، وكذلك كفل عدد أربعين من الدعاة في اليمن، وكذلك من الجمعيات التي كان يدعمها الشيخ والتي كانت تعنى بالقرآن معهد الصديق في اليمن في صنعاء، وبعض الجمعيات والحلقات في مأرب والحديدة وسبأ وغيرها.

وفي السودان كان الشيخ رحمه الله يدعم بعض الجمعيات التي

---

(١) وحقاً فما هي إلا أمثلة، وإلا فالأمر أوسع من ذلك ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ.

(٢) وكان رحمه الله كثير الحضور لاحتفالات الجمعية، بل كان من أوائل من يحضر، ويسهم في دعمها وربما أعلن عن هذا الدعم في وقت الاحتفال حثاً للحضور على المشاركة والبذل.

تعنى بهذا الجانب مثل جماعة أنصار السنة بالسودان، وجمعية الكتاب والسنة في السودان، وكذلك مركز أبي بن كعب لتحفيظ القرآن الكريم بشمال السودان.

وفي المغرب جمعية تحفيظ القرآن في المغرب.

وفي أفغانستان كان الشيخ رحمه الله من أبرز الداعمين لجمعية الدعوة إلى القرآن والسنة في أفغانستان، ومدرسة العلوم الخيرية.

وفي القارة السمراء في بعض بلدان أفريقيا كانت جهود سماحته رحمه الله: كان رحمه الله من الداعمين لمدرسة الروضة في كينيا، وكذلك معهد وجير المسمَّى بمعهد الفتح الإسلامي بكينيا، وكذلك إعاشة الطلبة في معهد وجير، وكذلك مدرسة نور الإسلام بـ منديرا في كينيا .

وكذلك في موريتانيا بعض الحلقات والجمعيات في منطقة بني عامر الإسلامية.

ومدرسة الإرشاد في جيبوتي.

وكذلك مدرسة السلام بقاريسيا في كينيا.

وكذلك مدرسة دار الحديث في ساحل العاج.

ولم تقتصر جهود سماحة الشيخ على البلدان العربية والإسلامية بل امتدت إلى استراليا وأوروبا، ففي استراليا ـ مثلاً ـ كان سماحته رحمه الله من الداعمين للمركز الثقافي الإسلامي في استراليا والذي كان من أبرز أنشطته رعاية المدارس والحلقات التي كانت تعنى بتحفيظ وتدريس القرآن الكريم، كذلك مدارس الفيصل في استراليا.

كذلك في بريطانيا كان الشيخ ﷺ يدعم حلقات ومدارس تحفيظ القرآن الكريم.

إلى غير هذا من الأعمال التي تخفى علينا، فهو ﷺ كان يهتم ويحرص على بعث الدعاة ويهتم بحلقات التحفيظ في كل مكان وذلك بدعمهم وتخصيص مكافآت لهم وتوجيههم بالدعوة إلى الله على الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، كذلك حثهم على التزود بالعلم النافع ونشره وتعليمه للناس.

أسأل الله بمنّه وكرمه أن يغفر له وأن يجزيه بأحسن ما قدم للأمة الإسلامية "[١].

(١) أُعد التقرير بتاريخ ٧/ ١/ ١٤٢٨هـ .

المطلب الثاني

أسباب نبوغ الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله في التفسير

لقد كان الشيخ رحمه الله علماً من أعلام التفسير، ورجلاً من رجاله في هذا القرن.

وكان هذا العلم من أحب العلوم إليه، وأقربها إلى نفسه [(١)]، وكل من كان عارفاً بالشيخ خبيراً بالتفسير يدرك تمكن الشيخ رحمه الله في هذا الفن، وعلو كعبه فيه.

لقد كان هذا التمكن يظهر من خلال صور شتى، منها:

استحضاره البالغ لمعاني الآيات، ومعرفته بمقاصدها، وقدرته الفائقة على الاستشهاد بها في مواطنها دون عناء.

كما كان يظهر من خلال تدريسه المستمر للتفسير عقوداً من الزمن؛ سواء بإلقائه أو بقراءة شيء من كتب التفسير.

كما كان يتجلى هذا الرسوخ من خلال قدرته على تمحيص الأقوال التفسيرية، والترجيح بينها، وبيان أوجه القوة والضعف فيها.

ولعل هذا النبوغ والتميز يرجع إلى أمور عديدة، ألخص أبرزها فيما يلي:

أولاً: معرفته بعقيدة السلف ـ رحمهم الله ـ، واطلاعه على آراء المخالفين له

لقد كان الشيخ ابن باز رحمه الله إماماً من أئمة أهل السنة وعلماً

---

(١) انظر: علماء ومفكرون عرفتهم، ص (٩١-٩٢).

من أعلام الأتباع، إليه المرجع في بيان العقيدة والدفاع عن منهج السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ.

وإنما يقع الزلل في تفسير القرآن الكريم حينما يعتقد المفسرُ عقائدَ باطلة فيحمل آيات القرآن عليها، أو يفهم القرآن على خلاف ما أُريد به [(١)].

والفهم الصحيح لما دلت عليه نصوص القرآن الكريم على ضوء ما جاء عن رسول الله ﷺ وأثر عن الصحابة رضي الله عنهم يعد من أهم معايير الرسوخ في التفسير.

ولاغرو أن كان الأئمة الذين برزوا في التفسير كالطبري وابن أبي حاتم وابن تيمية وابن كثير ومن جاء بعدهم من المعاصرين كالسعدي والشنقيطي هم ممن رسخت أقدامهم في أبواب العقائد.

والأمثلة التي تدل على تمكنه في هذا الباب كثيرة ومتوافرة، وإليك أحدها:

سئل رحمه الله عن معنى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[(٢)] هل يفهم من هذا أنَّ مَنْ دخل الجنة يخرج منها إذا شاء الله ؟ وهل نُسخت هاتان الآيتان بشيء من القرآن؛ إذ أنهما وردتا في سورة مكية ؟

فأجاب رحمه الله: "الآيتان ليستا منسوختين، بل هما محكمتان".

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ٣٥٥).

(٢) سورة هود، الآية (١٠٦-١٠٨).

وقوله جل وعلا: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هُود: ١٠٨] اختلف أهل العلم في بيان معنى ذلك، مع إجماعهم بأن نعيم أهل الجنة دائم أبداً لا ينقضي ولا يزول ولا يخرجون منها، ولهذا قال بعده سبحانه: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هُود: ١٠٨] لإزالة ما قد يتوهم بعض الناس أن هناك خروجاً، فهم خالدون أبداً، ولهذا في الآيات الأخرى يبين هذا المعنى فيقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾[1] فبيّن سبحانه أنهم آمنون، أي: آمنون من الموت، وآمنون من الخروج، وآمنون من الأمراض والأحزان وكل كدر، ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[2] فبيّن أنهم دائمون لا يخرجون ...

وقوله: قال بعض أهل العلم معناه: مدة بقائهم بالقبور، وإن كان المؤمن في روضة من رياضها، ونعيم من نعيمها، لكن ذلك ليس هو الجنة، ولكن هو شيء من الجنة ... وقال بعضهم: أي مدة مقامهم في موقف القيامة للحساب والجزاء.

وقال بعضهم: المراد جميع الأمرين ... يعني: إلا وقت مقامهم في القبور، وإلا وقت مقامهم في الموقف، وإلا وقت مرورهم على الصراط، فهم في هذه الحالة ليسوا في الجنة ولكنهم منقولون إليها...

وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هُود: ١٠٧] قيل: مدة مقامهم في المقابر، أو مدة مقامهم في الموقف كما تقدم في أهل الجنة، وهم بعد ذلك يساقون إلى النار ويخلدون فيها أبد الآباد نسأل الله العافية، كما قال

---

(١) سورة الحجر، الآية (٤٥-٤٦).

(٢) سورة الحجر، الآية (٤٧-٤٨).

عز وجل في سورة البقرة: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [(١)]، وقال عز وجل في سورة المائدة في حق الكفرة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[(٢)].

وقال بعض السلف: إن النار لها أمد ولها نهاية بعد ما يمضي عليها آلاف السنين والأحقاب الكثيرة، وأنهم يموتون أو يخرجون منها.

وهذا قول ليس بشيء عند جمهور أهل السنة والجماعة، بل هو باطل ترده الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة ـ كما تقدم ـ وقد استقر قول أهل السنة والجماعة أنها باقية أبد الآباد، وأنهم لا يخرجون منها، وأنها لا تخرب أبداً ...الخ" [(٣)].

ثانياً: رسوخه في علم الحديث، واطلاعه على الأحاديث النبوية والآثار السلفية، وتمييزه لصحيحها من سقيمها

وهو بلا مراء أحد محدثي العصر الكبار، وأئمة السنة المعدودين، ومعرفته بعلوم السنة ليست محل سؤال[(٤)].

ولا يخفى أثر المعرفة بالأحاديث والآثار على قدرة المفسر،

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٦٧).

(٢) سورة المائدة، الآية (٣٧).

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة باختصار (٢٤/ ٢٤٤-٢٤٨).
وإذا أردت -أخي القارئ الكريم-أن تعرف جلالة قدر هذا الإمام فاعلم أن هذا الجواب الذي سقتُه مختصراًهو جواب شفهي على سؤال ورد في البرنامج الإذاعي "نور على الدرب".

(٤) بل إن الشيخ رحمه الله من أعظم الذين نشروا علم الحديث من المعاصرين وكان له دور بارز في توجيه الطلاب للعناية به.

وماتضيفه إلى تفسيره من القيمة العلمية والرسوخ التحقيقي، ولذا فإن العلماء عدوا هذا الأمر من الشروط التي يجب توافرها في المفسر [١].

ولقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ كثير الصدور عن السنة النبوية، وعظيم الاعتماد على آثار السلف ـ مع التمحيص الواعي لما يصح وما لا يصح منها ـ في الفنون عامة وفي علم التفسير على وجه الخصوص.

ولذا كانت عنايته بكتب التفسير الأثري كابن جرير والبغوي وابن كثير أكثر من غيرها، ولقد كان هذا البعد الحديثي والأثري يظهر في تفسيره من خلال الاعتماد على الآثار في التفسير والقول بها وتجاوز ماسواها، كما يظهر من خلال عنايته بالكتب التي اعتمدت هذا المنهج واختطت هذا السبيل.

كما يبرز كثيراً من خلال الترجيحات والاختيارات التي تعتمد على الأثر وتعتد به.

ثالثاً: تمكنه من علوم العربية عامة، وعنايته بدلالات الألفاظ وتحريرها، واهتمامه بعلم النحو، فهو يتكلم الفصحى دون تكلف، ولا يكاد يعرف له لحن

إن علم العربية ركن أساس في تكوين كل مفسر، ذلكم أن القرآن نزل بلسان عربي مبين ، وكلما كان المفسر أبصر بالعربية كان أقدر على بيان معاني كلام الله جل وعلا.

ولقد ضرب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب بسهم وافر، وخصوصاً فيما

---

(١) انظر: الفتاوى (١٣/ ٤٤٢)، الإتقان، النوع الثامن والسبعين.

يتعلق بدلالات الألفاظ وبيان معانيها وتحرير مقاصدها، ومايتعلق بالنحو وإقامة الكلام على سنن لسان العرب.

يقول الشيخ محمد المجذوب رحمه الله: "من خصائصه الخطابية: قدرته على ترتيب أفكاره حتى لا تتشتت، وضبطه لعواطفه حتى لا تغلب على عقله، ثم سلامةُ أسلوبه، الذي لا يكاد يعتريه اللحنُ في صغيرٍ من القول أو كبير، وأخيراً تحرره من كل أثر للتكلف"[(١)] [(٢)].

رابعاً: عنايته بأقوال المفسرين، وكثرة مراجعته كتبهم، ومطالعته مؤلفاتهم، فهو لا يكابر عن علم يحصله، أو مسألة يراجعها حتى في آخر حياته

يقول الشيخ محمد الموسى متحدثاً عن نبوغ الشيخ رحمه الله في التفسير: "إذا تكلم على تفسير بعض الآيات قلت: هذا هو فنه؛ ففي بعض الأحيان إذا صلى سماحته الفجر، وقرأ بعض الآيات بالمصلين لما كان إماماً، أوسمعها من الإمام لما كان مأموماً، ثم رجع إلى بيته طلب عدة تفاسير ليقف على ما قاله المفسرون في معنى الآية أوالآيات.

وبعد ذلك تراه يرجح بعض التفاسير على بعض، وربما مال إلى معنى لا يخطر بالبال، وربما قيده على حاشية بعض التفاسير"[(٣)].

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم ص (٨٦).

(٢) ومن اللطائف أن بعض أساتذة اللغة العربية بجامعة الإمام كان يحث تلاميذه على الاستماع إلى الكلام الفصيح الخالي من اللحن لتقويم ألسنتهم، ولما سئل عمن يحسن الاستماع إليه، قال: سماحة الشيخ ابن باز.

(٣) جوانب من سيرة الإمام ص (٢٠٠).

المطلب الثالث

خصائص تفسير الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

لقد امتاز تناول الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ للتفسير بالعديد من الخصائص التي أكسبته الكثير من القبول ، وإن جزءاً كبيراً من هذه الخصائص ينبع من منهج الشيخ العام وطبيعة تكوينه العلمي.

وأبرز هذه الخصائص ما يلي:

أولاً: التزامُه منهجَ السلفِ الصالحِ، واقتفاؤه آثارَهم، واتباعُه هديَهم، وأخذُه بأقوالهم في مسائلِ العلمِ والعملِ

فلا يحفظ عنه رَحِمَهُ اللَّهُ أنه خالفهم في شيء من مقالاتهم، أو شذَّ عنهم في منهجهم. وقد سألتُ جماعةً من أكابر طلبة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ والمتتبعين لأقواله كسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ، والشيخ عبدالله بن جبرين، والشيخ عبدالعزيز الراجحي: هل يعرف له قول خالف فيه السلف ؟ فكانوا يقولون: لا يُعرف عنه ذلك.

لقد كان لهذا الاقتفاء والاحترام لهدي القرون الفاضلة أبلغ الأثر في مقالات الشيخ وآرائه، خصوصاً في علم التفسير الذي هو بيانٌ لمعاني كلام الله تعالى.

ثانياً: اعتمادُه التفسيرَ بالأثر، والعنايةُ به، وتقديمُه على غيرِه من طرقِ التفسيرِ، وهذه المزية تظهر في جوانب عدة، لعل أبرزها:

أ- عنايته بكتب التفسير بالأثر، وتدريسها في مجالسه العلمية، وتعليقه عليها.

ب- تمحيص ما فيها من مرويات، والحكم عليها، والتعليق على كثير من مواطنها سواء في دروسه العامة أومكتبته الخاصة.

ج- اعتماده في الترجيح على الجوانب الأثرية، وتقديمها على غيرها من المرجحات .

ثالثاً: السهولةُ في العبارة والدقةُ في بيان المعنى:

وهي معادلة ليس يقوى عليها كل أحد، فإن كثيراً من المفسرين يغلب عليه الجانب العلمي فتصعب عبارته، وآخرين يغلب عليهم خطاب الجمهور فيخلو كلامهم من المادة العلمية.

أما الشيخ رحمه الله فقد كان في تقريراته وتعليقاته يجمع بين هذا وذاك، فعبارته ينتفع بها المتقدمون ولكنها لا تغلق على المبتدئين.

حدثني سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ ـ حفظه الله ـ قال: "كان تفسير الشيخ رحمه الله سهلاً واضحاً، ولكن لا يقدر عليه غيره، لقد كان سهلاً ممتنعاً".أ.هـ .

رابعاً: الإيجازُ والبعدُ عن الإسهاب وتشقيق العبارات:

ويظهر هذا جلياً في تحقيقاته العلمية وتقريراته في الدروس، والإجابات على الأسئلة والاستفتاءات، والتعليقات على كتب التفسير، فليس هو ممن يعمد إلى بسط الكلام وإطالته، وإنما يوصل المقصود بأخصر عبارة وأقصر طريق.

خامساً: بعدُه عن الإسرائيليات، وتحذيرُه الشديد منها:

فقد جرى الشيخ رحمه الله على البعد عن الإسرائيليات واجتنابها، وإذا مرَّت في شيء من كتب التفسير فإنه ينبه عليها، وليس أدل على ذلك

من أن الحافظ ابن كثير رحمه الله وهو ممن أجادوا في نقد الإسرائيليات وبيان حالها، إلا أن الشيخ ابن باز رحمه الله تتبعه في بعض المواضع التي فاتته أو غفل الحافظ عن التنبيه عليها.

لقد كان الشيخ ـ عليه رحمة الله ـ حريصاً على أن تظل حقائق الوحي نقية كما جاءت، وكان يؤكد على أنَّ فيما صح عن النبي ﷺ غنية عن التعويل على أحاديث بني إسرائيل، خصوصاً حين يفسر بها القرآن الكريم وتحمل عليها آياته.

وهو مع ذلك يفرق بين ما يصح منها من جهة المعنى،وما لايصح فيشير أحياناً إلى أن هذا من أحاديث بني إسرائيل ولكن معناه صحيح.

سادساً: التفريقُ بين خلاف التنوع وخلاف التضاد في مرويات السلف:

ولتمكنه في هذا الباب كان يجمع بين الأقوال، ويأخذ بالعموم كثيراً كما هو منهج أئمة التفسير والراسخين فيه.

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[1]: "ذكر أهل التفسير أنها نزلت في الأنصار بالمدينة المنورة لما أرادوا أن يتركوا الجهاد وأن يتفرغوا لمزارعهم؛ أنزل الله في ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ فبين سبحانه أن المراد بذلك هو التأخر عن الجهاد في سبيل الله مع القدرة، والآية عامة كما في القاعدة الشرعية أن الاعتبار في النصوص بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب، فلايجوز للإنسان أن يلقي بيده إلى التهلكة كأن

(١) سورة البقرة، الآية (١٩٥).

يلقي نفسه من شاهق، ويقول: إني أتوكل على الله، أو يتناول السم ويقول: إني أتوكل على الله، أو أن يطعن نفسه بسكين ونحوه ويقول: إني أتوكل على الله، إني مسلم . كل هذا لايجوز، فواجب على المسلم التباعد عن أسباب التهلكة وأن يتحرز منها، إلا بالطرق الشرعية كالجهاد وغيره".أ.هـ [١].

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[٢].

قال الحافظ ابن كثير: "منهم مَنْ فسَّره ذلك بالغضب، ومنهم مَنْ فسَّره بمس الشيطان بالصرع ونحوه، ومنهم مَنْ فسَّره بالهم بالذنب، ومنهم مَنْ فسره بإصابة الذنب ..."[٣].

أما الشيخ رحمه الله فاختار العموم فقال: "الطائف من الشيطان يشمل كل نزغات الشيطان".أهـ[٤].

سابعاً: عنايته بالترجيح فيما يتعذر فيه الجمع مع بيان سبب الترجيح في كثير من المواطن:

ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾[٥].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢٤/ ١٩١).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٢٠١).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٧٩)، ط. دار المعرفة.

(٤) من تعليقه على تفسير ابن كثير، في درسه مساء الأحد ١١/ ٥/ ١٤١٧هـ.

(٥) سورة التوبة، الآية (١١٥).

ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله الأقوال في معنى: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ (١).

قال الشيخ رحمه الله: "والصواب أن السياحة الصيام؛ لأن الله وصف به النساء(٢).

وهن لا جهاد عليهن؛ ولأنه هو الثابت عن الصحابة".أ.هـ(٣).

ثامناً: عنايته بالتوجيهات الإيمانية والتربوية في التفسير:

ويظهر هذا كثيراً في مجالسه وأحاديثه العامة.

ومن الأمثلة تفسير قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ (٤).

يقول رحمه الله: "يعلم عباده أن يدعوه بهذا الدعاء، فإذا قال العبد: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ يقول الله: "هذا لعبدي ولعبدي ماسأل"(٥). هكذا جاء في الحديث الصحيح.

فجدير بك يا عبدالله أن تصدق في هذا الدعاء، وأن تخلص في هذا الدعاء، وأن يكون قلبك حاضراً حين تقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ (٦).

---

(١) ذكر الحافظ في معنى ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ عدة أقوال هي: الصائمون، المجاهدون، طلبة العلم، المهاجرون. (٤/١٥٧)، ط. الشعب.

(٢) في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ [التّحْريم: ٥] .

(٣) من تعليقه على تفسير ابن كثير، في درسه مساء الأحد ١٤١٩/٦/٢١هـ.

(٤) سورة الفاتحة، الآية (٦).

(٥) رواه البخاري رقم (٧٤١)، ومسلم رقم (٥٩٨).

(٦) سورة الفاتحة، الآيات (٦، ٧).

ومعنى ﴿ٱهۡدِنَا﴾ يعني: ارشدنا يا ربنا، ودلنا، وثبتنا، ووفقنا.

تسأل ربك أن يهديك هذا الصراط، وأن يرشدك إليه، وأن يعلمك إياه، وأن يثبتك عليه.

ما هو الصراط المستقيم؟

الصراط المستقيم: هو دين الله، وهو توحيد الله، والإخلاص له، وطاعة أوامره وترك نواهيه .

هذا هو الصراط المستقيم، وهو عبادة الله، وهو الإسلام والإيمان والهدى . . وهو العبادة التي أنت مخلوق لها..."الخ [(١)].

وختاماً أقول:

إن من له دراية بأقوال السلف، ومعرفة بتفسيرهم يدرك الشبه الشديد والصلة الوثيقة بين طريقة الشيخ رحمه الله ومنهجه في التفسير وبين طريقة السلف ومنهجهم.

لقد كنت أدرك هذا الأمر إجمالاً حين كنت أحضر مجالسه العلمية في التفسير وغيره.

ثم تبين هذا لي على وجه الدقة والتفصيل حين راجعت كتاباته وأقواله وتعليقاته، لقد كانت هذه الحقيقة ماثلة بين عيني وأنا أنقب في تراثه كله على وجه العموم المكتوب منه والمسموع.

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢٤/ ١٦٥-١٦٦).

المبحث الثالث

جهود الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله

في تفسير القرآن الكريم

المبحث الثالث

جهود الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله في تفسير القرآن الكريم

لقد أثرى الشيخ رحمه الله الأوساط العلمية بجهوده في سائر الفنون، وشتى العلوم، وكان نصيب التفسير من هذه الجهود بالغ الوفرة، عظيم الأثر، غاية في التحقيق والتأصيل .

إن الشيخ رحمه الله لم يؤلف مصنفاً مستقلاً في التفسير، وإنما اكتفى بتدريس التفسير في دروسه ومحاضراته، ولعل من أسباب ذلك أنه لم يتفرغ للتأليف فقد كان رحمه الله رجل أمة .. رجل عامة .. تفرغ لتأليف القلوب وتربيتها وتعليمها، وقام بشأن الأمة صغيرها وكبيرها قريبها وبعيدها عربيها وعجمها برها وفاجرها، فملأت حلقاته الأسماع والأبصار، وعمر المساجد بمحاضراته القيمة ودروسه النافعة، وكان لتفسير القرآن من ذلك نصيب وافر.

وتقوم مؤسسة سماحة الشيخ ابن باز الخيرية ـ مشكورة ـ على مشروع لجمع تراث الشيخ الصوتي يُشرف عليه سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن عبدالله آل الشيخ مفتي عام المملكة جزاه الله خيراً، ويُتوقع أن يبلغ المجموع أكثر من مائة وخمسين ألف صفحة، بما يقارب خمسة آلاف ساعة صوتية.

وإنه لجهد عظيم يعجز عنه الجمع من الرجال فكيف برجل واحد، مع العلم أن أكثر هذا التراث إنما هو بعد عام ألف وأربعمائة للهجرة بعد انتشار التسجيل وتيسر أسبابه، أي بعد أن بلغ الشيخ رحمه الله السبعين من عمره، فما ظنك بما كان قبل ذلك .. وقد بدأ الشيخ جهوده في التعليم مذ كان ابن سبع وعشرين سنة حين تولى قضاء الخرج.

وإن تعجب فعجب أنه ﵀ كان في عشر التسعين كهو في عشر الثلاثين والأربعين؛ فلم تفتر همته، ولم يتغير نشاطه، ولم تخب جذوة الحماس في نفسه.

لقد كان أكثر ما يدهش الذين عرفوا هذا الإمام أنه هو هو لم يتغير، ولم يفتر جهده العلمي، ودأبه الدعوي ، وجهاده في سبيل الله، ولم يفتَّ في عضده إعراض المعرضين، ولا تثبيط المثبطين، ولا انصراف المنصرفين ... لقد كانت العواصف تثور من حوله، ثم تنجلي متى ما شاء الله أن تنجلي فإذا هو كما كان ثابت كالطود الشامخ لم يتغير من شأنه شيء، ولم يتحول من جهاده شيء، ولم يتراجع عما كان عليه من الهدى حتى قبضه الله.

أعود مرة أخرى فأقول: لقد خلّف الشيخ ﵀ تراثاً تفسيرياً نافعاً، وهو مبثوث في كثير من المظان، وأبرزها:

أولاً: دروسه في التفسير:

فقد فسَّر الشيخ ﵀ القرآن الكريم في دروس متعددة وأوقات مختلفة.

فمن ذلك دروسه في التفسير بعد رجوعه من الدلم، يقول الشيخ عبدالمحسن العباد ـ حفظه الله ـ : " في عام اثنتين وسبعين وثلاثمائة وألف كان في ذلك الوقت عدد من المشايخ الكبار يقومون بإلقاء الدروس في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم ﵀ بين المغرب والعشاء، وهم: الشيخ عبدالعزيز بن باز ﵀، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي ﵀، والشيخ عبدالرحمن الأفريقي ﵀، والشيخ عبدالرزاق عفيفي ﵀، وكان المسجد يَعُجُّ بطلبة العلم، وأذكر أنه ـ أي الشيخ ابن باز ـ

كان يلقي دروساً في التفسير في سورة مريم" .أ.هـ[(١)].

ومن ذلك أنه بعد عودته من المدينة إلى الرياض في التسعينات الهجرية رئيساً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء كان يعقد دروساً في الجامع الكبير بالرياض بعد صلاة الفجر وكان يفتتح الدروس بتلاوة آيات القرآن الكريم يقرؤها أحد الطلاب، ثم يشرع الشيخ في تفسيرها وبيان معانيها على سبيل الإجمال [(٢)].

ثانياً: كتبه ورسائله المتنوعة:

وقد ضمنها الكثير من تفسير القرآن الكريم، إذ كان أبرز ما يميز منهج هذا الإمام رحمه الله صدوره عن الأصلين، وحرصه الشديد وعنايته البالغة في الاستشهاد والاستدلال بالنصوص [(٣)].

وفي كتاب (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة) جمع الدكتور: محمد بن سعد الشويعر حفظه الله مادة جيدة في هذا الباب، وقد صدر لهذا المجموع كشاف وفهارس بعد أن تم المجموع من ثلاثين مجلداً ، وتقوم على طبعه الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء[(٤)].

---

(١) الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله نموذج من الرعيل الأول ص (٢٥-٢٦).

(٢) وكانت القراءة في حدود الثمن، وبعض هذه الدروس مسجل صوتياً، وهو بأيدي بعض الطلبة، ولدى مؤسسة سماحة الشيخ. وممن كان يقرأ القرآن في هذه الدروس الشيخ خالد الشريمي وغيره.

(٣) راجع ما سبق ص (٢٠).
وانظر: الإمام العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز، وأصول منهجه في الفتوى.

(٤) وخصوصاً في الأجزاء التي خصصت للتوحيد، وفي الجزء الرابع والعشرين (التفسير).

ثالثاً: تعليقاته على كثير من كتب التفسير التي درسها:

وقد اعتنى الشيخ رحمه الله بتدريس التفسير مدة حياته في الدلم والرياض والمدينة والطائف وغير ذلك، وهذه التعليقات كثيرة جداً متفرقة في أيدي كثير من الطلاب؛ إذ بدأ الشيخ بالتدريس والجلوس للطلبة حين انتقل قاضياً في الدلم عام **١٣٥٧**هـ إلى أن توفاه الله.

وهذه التعليقات منها ماتم تسجيله صوتياً ومنها ماكان قبل توفر التسجيل[(١)] ومن هذه الكتب التي درسها:

١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري

هذا التفسير مع تفسير البغوي وابن كثير من التفاسير التي كان الشيخ رحمه الله يوصي بها، وينصح الطلاب بمراجعتها، يقول رحمه الله: " وإني أوصيكم بالاستقامة على هذا الخير العظيم ... مع الإكثار من تلاوة كتاب الله ومدارسته، والتفقه فيه، ومراجعة كتب التفسير المفيدة؛ كتفسير ابن جرير، وابن كثير، والبغوي، وغيرهم ".أ.هـ[(٢)].

وبهذا أوصى أئمة الدعوة، يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله: "أفضل ما في أيدي الناس من التفاسير هذه الثلاثة: تفسير أبي جعفر محمد بن جرير، وتفسير الحسين بن مسعود البغوي، وتفسير العماد إسماعيل بن كثير؛ فهذه أجلُّ التفاسير".أ.هـ[(٣)].

---

(١) وهذه التسجيلات كثيرة جداً، عند كثير من طلابه، وقد اعتنت مؤسسة سماحة الشيخ ابن باز الخيرية بتتبعها وجمع ما تفرق منها.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢٤/ ١٤٨).

(٣) الدرر السنية (٩/ ٦٤).

وكان تفسير ابن جرير يقرأ عليه أيام قضائه في الدلم.

يقول الشيخ عبدالرحمن بن جلّال في بيان طرف من دروس الشيخ التي يعقدها أول النهار حين كان قاضياً في الدلم: "وقرؤوا في المطولات؛ في البخاري ومسلم وفي الترمذي، وفي تفسير ابن جرير، وإذا ضاق بهم الوقت خرجوا، وطلب [سماحة الشيخ ابن باز] منهم صحبته إلى البيت ـ وهذا كل يوم ـ لتناول القهوة والتمر ... كان ذلك الوقت التمر قليلٌ جداً، وأكملوا ما بقي من الدرس ذاك الوقت".أ.هـ[(١)].

وكان الذي يتولى القراءة في تفسير ابن جرير الشيخ: محمد ابن سعد بن شعيل رحمه الله [(٢)].

٢- معالم التنزيل للبغوي:

وكان رحمه الله يدرس هذا الكتاب بعد صلاة الجمعة في حلقة يعقدها في منزله بالرياض ويتولى القراءة معالي الشيخ: عبدالعزيز بن ناصر بن باز حفظه الله.

وقد بلغ إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤] الآية .

٣- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير:

ولأهمية هذا الكتاب فإني أضع هنا بعض المعالم ملخصة على النحو التالي:

أولاً: اعتنى رحمه الله بهذا الكتاب أتم عناية، ولم ينل كتاب في

---

(١) الشيخ ابن باز في الدلم، لقاء مسجل على الكاسيت.

(٢) حدثني بذلك الشيخ عبدالرحمن بن جلال.
وقد سألته عن المقدار الذي تمت قراءته من تفسير ابن جرير، فقال: قريب من الربع.

التفسير من الاهتمام من قِبَل الشيخ مثل ما ناله هذا التفسير.

يقول الشيخ ابن جبرين حفظه الله ـ عن بعض مجالسه مع الشيخ ـ : "ثم نقرأ أيضاً في كتب أخرى ...أو في بعض التفاسير، في تفسير ابن كثير، وكان يحبه كثيراً، ويحب إكثار القراءة فيه، استمر على ذلك عدة سنوات"(١).

وعناية الشيخ رحمه الله بهذا الكتاب وتقديمه له بين كتب التفسير محل إجماع بين طلاب الشيخ جميعاً.

ثانياً: درَّس هذا الكتاب عقوداً من الزمن، مذ حلَّ قاضياً في الدلم إلى أن توفاه الله.

حدثني الشيخ عبدالرحمن بن جلال قال: "منذ أن جاءنا الشيخ في الدلم وأنا أقرأ عليه في تفسير ابن كثير".أ.هـ.

ويقول ـ أيضاً ـ في وصف جهود الشيخ رحمه الله العلمية أيام قضائه في الدلم: "بعد أذان العشاء قد خصص لي سماحته ـ قدس الله روحه ـ هذا الوقت في كتاب تفسير ابن كثير رحمه الله"(٢).

ولهذا فإن هذا الكتاب قرئ على سماحته مرات متعددة.

ثالثاً: لم تنقطع القراءة في هذا الكتاب مطلقاً، فقرئ على الشيخ في الدلم، والرياض، والمدينة، والطائف، بل إن هذا الكتاب كان يصحبه في أسفاره، حدثني الشيخ عبدالعزيز الراجحي ـ حفظه الله ـ قال: "لما زار الشيخ رحمه الله القصيم منتصف الثمانينات لقيته، وكان يقرأ

(١) محاضرة: سيرة الإمام ابن باز. مسجلة على الكاسبت.

(٢) الإمام ابن باز، حياته في الدلم.

عليه في بعض الكتب، ومنها تفسير ابن كثير؛ في آخر التفسير في سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١] أ .هـ[١].

رابعاً: كما قرئ عليه مختصره للشيخ أحمد شاكر لما كان في الدلم، حدثني الشيخ عبدالرحمن بن جلال ـ حفظه الله ـ قال: "كنت أقرأ عليه في المسجد مختصر ابن كثير للشيخ أحمد شاكر، قبل أذان العشاء إلى الصلاة".أ.هـ.

خامساً: توفي الشيخ رحمه الله وتفسير ابن كثير يقرأ عليه في أكثر من درس بمدينة الرياض على النحو التالي:

الأول: مساء الأحد ومساء الأربعاء، في جامع سارة، بقراءة معالي الشيخ: عبدالعزيز بن ناصر بن باز، وبلغ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية السابعة والثلاثون من سورة يونس.

الثاني: بعد صلاة الفجر يومي الأحد والأربعاء، في جامع الإمام تركي بن عبدالله رحمه الله بقراءة الدكتور: عمر بن سعود العيد، وبلغ إلى تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ الآية مائة وثلاثة من سورة الأنعام.

الثالث: بعد صلاة الفجر من يوم الخميس في جامع الإمام تركي ابن عبدالله رحمه الله بقراءة الشيخ : أحمد بن راشد العرفج.

وكان ابتدأ القراءة سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة للهجرة ـ تقريباً ـ

---

(١) وكان يقرأ عليه الشيخ يوسف المطلق في تفسير ابن كثير ـ أيضاً ـ بين الأذان والإقامة في الجامع الكبير في السبعينات، كما قرئ عليه في المدينة في المسجد النبوي؛ قرأ عليه عبدالله بن عبدالله الزايد.

بعد صلاة الجمعة في منزل الشيخ رحمه الله في وسط الرياض، ثم انتقل الدرس إلى المسجد سنة إحدى عشرة وأربعمائة وألف للهجرة بعد صلاة الفجر من يوم الخميس ـ كذا حدثني الشيخ أحمد العرفج ـ وبلغ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ الآية الحادية والأربعون من سورة ق.

وكثير من هذه القراءات موثق صوتياً ـ ولله الحمد ـ .

يبكي الرياضان والتفسيرُ منتحبٌ والفتحُ يبكي، ويبكي نيلُ أوطارِ [١]

سادساً: لا أشك أن الآثار العلمية التي خلّفها الشيخ رحمه الله في تفسير ابن كثير لم يُسبق إليها، ومن طالع تعليقاته كاملة أدرك ذلك.

ولعل الله أن يوفق أحد طلبة العلم لجمع هذا التراث المتفرق، ويمكن الإشارة ـ على سبيل الاختصار[٢] ـ إلى أبرز هذه الآثار وإجمالها على النحو التالي[٣]:

أولاً: تقويم النص، والمقابلة بين النسخ المطبوعة، وتصحيح التصحيف والتحريف.

مثال: قال الحافظ: " ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي لايفهمون ما فيه صلاح لهم فيفعلوه، ولاما فيه مضرة لهم فيجتنبوه"[٤].

---

(١) من قصيدة للشاعر ناصر الزهراني، إمام العصر ص(١٨).

(٢) ما سأذكره هو إشارات سريعة، وأمثلة مختصرة لأبرز الآثار التي خلفها الشيخ في تفسير ابن كثير، وإلا فإن الأمر أطول من ذلك، ولعل الله أن ييسر خروج هذا التراث مجموعاً مقرباً لأيدي طلبة العلم. وبالله التوفيق.

(٣) جميع الإحالات التي سأذكرها في هذه المواضع هي من درس التفسير الذي يعقده الشيخ رحمه الله مساء الأحد والأربعاء بجامع سارة بمدينة الرياض، وقد سبقت الإشارة إليه قريباً، وهي موثقة صوتياً ـ ولله الحمد ـ.

قال الشيخ: "لا يفهمون ما فيه صلاح لهم فيفعلونه، ولا ما فيه مضرة لهم فيجتنبونه".أ.هـ.

مثال: وفي تفسير قوله ﴿ٱلسَّـٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة: ١١٢].

قال رحمه الله: "وهنا سطر ساقط هو: ثم رواه عن بندار عن ابن مهدي عن إسرائيل عن سليمان الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أنه قال: ﴿ٱلسَّـٰٓئِحُونَ﴾ هم الصائمون"(١).

وهذه الاختلافات والفروق بين النسخ المطبوعة إما أن يسوغها جميعاً، أو يجزم بصواب إحدى النسخ.

ثانياً: ضبط أسماء الأعلام، وتصحيح ما يقع من تحريف أو تصحيف، والتعريف بهم، مع العناية بالحكم على رجال الإسناد.

وإذا لزم الأمر فإنه يراجع الأصول والمراجع الأخرى كتفسير الطبري، ومسند الإمام أحمد وتقريب التهذيب ونحوها.

وقد أحصيت الأعلام الذين تكلم عليهم بضبط أو تعريف أو حكم مما كتبته بيدي عنه في تفسير سورة الأنفال ـ فقط ـ فبلغوا أكثر من سبعين علماً. فما ظنك بالعدد إذا انضم إليه ما علقه في دروسه الأخرى، وما قيده في تعليقاته على نسخه الخاصة.

ثالثاً: الحكم على الأحاديث والآثار الواردة في التفسير.

وهو جانب مهم من جوانب عنايته بالتفسير، وتأتي أهميته من جهات:

---

(١) (٤/١٣٦ الشعب).

(٢) (٤/١٥٧ الشعب).

١- وفرة المادة الحديثية الواردة في تفسير ابن كثير.

٢- صدور هذه الأحكام من علم من أعلام السنة، وأحد كبار المحدثين في عصره.

٣- وفرة تعليقاته وأحكامه الحديثية على تفسير ابن كثير.

وقد أحصيت الأحاديث والآثار التي تكلم عليها في سورة الأنفال مما قيدته بيدي عنه فبلغت سبعةً وعشرين حديثاً وأثراً.

رابعاً: توضيح النص، وبيان المفردات، ومعاني الكلمات:

مثال: قال ابن كثير: "عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، واستقبلوا قبلتنا، وأكلوا ذبيحتنا ... الحديث"[1]. أ.هـ.

قال الشيخ في التعليق على قوله: (أكلوا ذبيحتنا) أي: استحلوا ما نحل، وتابعوا شريعتنا".أ.هـ.

مثال: قال ابن كثير: وقال الشاعر:

أفي السلم أعياراً جفاءً وغلظةً وفي الحرب أشباه النساء العوارك[2]

قال الشيخ: "أعيارٌ بالرفع أولى. والعارك: الحائض".

خامساً: بيانُ كلام الحافظِ ابنِ كثير، وشرحُ مراده.

مثال: قال ابن كثير: "قال عبد بن حميد في مسنده: حدثنا

---

(١) (٢/ ٣٣٦ المعرفة).

(٢) (٤/ ١٣٦ الشعب).

عبدالملك بن عمرو، حدثنا شعبة، عن الحكم عن ابن أبي ليلى، عن بلال أن رسول الله كان يدعو: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. هذا حديث جيد الإسناد إلا أن فيه انقطاعاً".أ.هـ[١].

قال الشيخ: "لأن ابن أبي ليلى لم يسمع من بلال".أ.هـ.

سادساً: بيانُ معنى الآية.

مثال: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١] .

قال الشيخ: "والمعنى لا أحد أوفى بعهده من الله".أ.هـ.

مثال: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥].

قال الشيخ: "وهذا كقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ﴾ ولم يقل: حتى يتبين، فإذا خاطبهم بلغتهم فقد بلغهم الخطاب فلا يعذرون بعد ذلك".أ.هـ.

سابعاً: الترجيح والاختيار بين الأقوال التي يذكرها ابن كثير في تفسير الآية:

مثال: لما ذكر الحافظ ابنُ كثير الأقوال في معنى: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة: ١١٢][٢].

قال الشيخ: "والصواب أن السياحة الصيام؛ لأن الله وصف به النساء وهن لا جهاد عليهن؛ ولأنه هو الثابت عن الصحابة".أ.هـ .

---

(١) (٢/٢٩٨ معرفة).

(٢) (٤/١٥٧ الشعب).

مثال: ذكر الحافظ ابن كثير الأقوال في المراد بذوي القربى في قوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[الأنفال: ٤١][(١)] الآية.

قال الشيخ: "الصواب أن ذوي القربى هم بنو هاشم وبنو المطلب".أ.هـ.

وهو رحمه الله كثيراً ما يختار القول بالعموم ـ كحال أهل الرسوخ من المفسرين ـ إعمالاً لقاعدة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" ولإدراكه أن كثيراً من الخلاف المروي عن السلف في التفسير هو من باب اختلاف التنوع لا التضاد.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

قال ابن كثير: "منهم من فسره بالغضب، ومنهم من فسره بمس الشيطان بالصرع ونحوه، ومنهم من فسره بالهم بالذنب، ومنهم من فسره بإصابة الذنب"[(٢)].أ.هـ.

قال الشيخ: "الطائف من الشيطان يشمل كل نزغات الشيطان".أ.هـ .

مثال: قوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧].

ذكر ابن كثير أقوال السلف وأن هذا التمييز يحتمل أن يكون في الآخرة ويحتمل أن يكون في الدنيا[(٣)].

قال الشيخ: "وهذا عام، ليميز الله الخبيث من الطيب في الدنيا

---

(١) (٢/ ٣١٣ المعرفة).

(٢) (٢/ ٢٧٩ المعرفة).

والآخرة".أ.هـ.

ثامناً: ردُّ بعض الأقوال وبيان ضعفها:

ومن أمثلة هذه الأقوال:

قال سعيد بن المسيب ﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [التوبة: ٣]: اليوم الثاني من يوم النحر[١].

قال قتادة: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١]: الكتب التي كانت قبل القرآن[٢].

قال الشيخ: "هذا القول ليس بشيء، والصواب آيات القرآن".

والشيخ رحمه الله حين يردُ هذه الأقوال يرسم المنهج للطالب في التأدب مع الأئمة وأهل العلم، فهو يرد القول ولا يتعرض لقائله بتهجم ولا تجريح، بل ربما التمس له العذر، وسعى في تخريج قوله، وحمله على أحسن المحامل.

يقول الشيخ محمد المجذوب: "إن هذا الرجل من أشد من عرفت وقرأت غيرة على حقائق الوحي، واستمرارها سليمة من كل شائبة، وفي طبعه النفور من كل شذوذ عن هذه السنن، فإذا ما سمع أي شيء من ذلك لم يلبث أن ينهض للتعقيب عليه بما يبين وجه الحق، ولكن لا يتجاوز في أي كلام له نطاق الحكمة والموعظة الحسنة، مع أتم المراعاة لمشاعر الجانب المخالف"[٣].أ.هـ.

---

(١) (٢/ ٣٠٧ المعرفة).
(٢) (٢/ ٣٣٥ المعرفة).
(٣) (٤/ ١٨٢ الشعب).

تاسعاً: الترجيح والاختيار في المسائل التي يذكرها ابن كثير في تفسيره.

مثال قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[التوبة: ٢٩]

ذكر الحافظ ابن كثير أقوال أهل العلم فيمن تؤخذ منه الجزية[١].

قال الشيخ: "والصواب أنها تختص باليهود والنصارى والمجوس للآية، والحديث ـ يعني أنه ﷺ أخذها من مجوس هجر ـ ولأنه لم يأخذها من المشركين ولا من قريش..." أ.هـ.

مثال: عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾الاية [التوبة: ٦٠] .

قال ابن كثير : وقد اختلف العلماء في هذه الأصناف الثمانية: هل يجب استيعاب الدفع إليها أو إلى ما أمكن منها...[٢] ثم ذكر الأقوال.

قال الشيخ: "الصواب أنه لا يجب تعميم الأصناف الثمانية، ويجوز إعطاؤها لصنف واحد". أ.هـ.

عاشراً: الإضافات على ما في التفسير من ذكر حديث أو أثر أو حكم مسألة أو نحو ذلك .

مثال: عند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[التوبة: ٢٩].

"الصحيح أن المجوس ليس لهم كتاب ولا نبي"[٣].أ.هـ .

---

(١) جوانب من سيرة الإمام (ص ٥٥٠)، علماء ومفكرون عرفتهم (ص ٨٦).
(٢) (٤/ ٧٥ الشعب).
(٣) (٤/ ١٠٥ الشعب).

مثال: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

ذكر ابن كثير حديث: "كل مولود يولد على الفطرة ...".

وحديث: "إني خلقت عبادي حنفاء ..."(١).

قال الشيخ: "وهذا من الأدلة على أن الأطفال على الفطرة، فإن ماتوا وهم صغار فهم في الجنة، فهذا أرجح من القول بأنهم يمتحنون".أ.هـ.

الحادي عشر: التوجيهات الإيمانية، والإرشادات التربوية التي يأخذها من الآيات.

مثال: عند قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

قال رحمه الله : "المقصود أن قصة هذا الرجل فيها تحذير لأهل العلم أن يكونوا مثل هذا الرجل، بل يكون العلم هادياً إلى الله، عاملاً به، ولا يقدم هواه وحظه العاجل من الدنيا".أ.هـ.

الثاني عشر: إزالة الإشكالات، ودفع التوهمات.

مثال: قال ابن كثير: ورد في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء"(٢).أ.هـ.

فسئل الشيخ: كيف والماء على الأرض، والأرض لم تخلق بعد؟

---

(١) (٤/ ٧٥ الشعب).

(٢) (٢/ ٢٦١ المعرفة).

فأجاب: هذا ماء فوق السموات تحت العرش، غير ماء الأرض". أ.هـ.

الثالث عشر: لقد كان الشيخ يوافق الحافظ ابن كثير فيما يورده، وهذه الموافقة إما أن تظهر من خلال سكوته عما أورده الحافظ وهو كثير، وإما بالنص على أن ما ذكره هو الصواب أو المختار أو نحو ذلك.

ومع ذلك فإن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ له تعقبات عديدة على الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، وهذه التعقبات يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: التعقبات في الحكم على الأحاديث والآثار والرجال

مثال: قال ابن كثير: "قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا يحيى بن يعقوب أبو طالب عن ابن عون عن محمد بن عبدالله الثقفي عن أبي عبدالرحمن السلمي قال: قال الحسن بن علي كانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان لسبع عشر من رمضان. إسناد جيد قوي"[١]. أ.هـ.

قال الشيخ: "هذا ذهول من المؤلف، فإن ابن حميد ضعيف متهم بالكذب، مع أنه حافظ في نفسه". أ.هـ .

ثانياً: تعليقه على ما يسكت عنه الحافظ من الإسرائيليات

مثال: قال ابن كثير: "وفي الأثر يقول الله تعالى: «يا ابن آدم، اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل

---

(١) (٢/٢٦٨ المعرفة).

(٢) (٢/٣١٣ المعرفة).

شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء"[١].

قال الشيخ: "هذا أثر إسرائيلي، لايصدق ولا يكذب، ومعناه صحيح".أ.هـ.

مثال: أورد الحافظ في تفسير قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] أثراً عن السدي وغيره في سبب افتتان اليهود بالعزير، ومقالتهم هذه[٢].

قال الشيخ معلقاً: "هذا من أخبار بني إسرائيل التي لا قيمة لها، فلا تصدق ولا تكذب".أ.هـ.

ثالثاً: مخالفة الحافظ في بعض أقواله واختياراته في التفسير

مثال: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٩-١٩٠].

اختار الحافظ ابن كثير أن الآية ليست في آدم وحواء، وإنما هي في المشركين من ذريته[٣].

قال الشيخ: "ليس الأمر كما قال الحافظ رحمه الله بل الآية نصٌ في الأبوين، وتفسيرها بغيرهما بعيد، وهي في الطاعة، مثل طاعة آدم لإبليس في الأكل من الشجرة، وكقوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]

(١) (٢/ ٣٠١ المعرفة).

(٢) (٤/ ٧٦ الشعب).

(٣) (٢/ ٢٧٥ المعرفة).

والشرك الأصغر كالمعصية إلا أنه لا يقر عليها..."أ.هـ.

مثال: قوله: ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ﴾ [التوبة: ١٠٨] .

قال ابن كثير: "دليل على استحباب الصلاة في المساجد القديمة"[(١)].أ.هـ.

قال الشيخ: "لا دليل على استحباب الصلاة في المساجد القديمة".أ.هـ.

وكل ما مضى من آثار الشيخ في تفسير ابن كثير، إما أن يسوقه الشيخ ابتداءً من خلال التعليق على الكتاب، أو يكون جواباً لسؤال من أحد الطلاب، فليس هو ممن يضيق ذرعاً بأسئلة طلابه وتلاميذه، بل يجيب عليها برحابة صدر وسعة بال، وقد يتكرر السؤال عليه مراراً فلا يضيق ذرعاً به ولا يهمله، بل يجيب عليه، وكأنه يسأل عنه أول مرة.

٤- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:

وكان الشيخ يدرس هذا الكتاب في حلقته العلمية بعد صلاة المغرب في الجامع الكبير بالرياض ، ويتولى القراءة الشيخ عبدالعزيز ابن إبراهيم بن قاسم .

وقد أطلعني الشيخ عبدالعزيز بن قاسم ـ جزاه الله خيراً ـ على نسخته الخاصة، وقد كتب على جلدتها: "بدأت القراءة في هذا الكتاب على سماحة شيخنا العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ حفظه الله ـ يوم الأحد **٢/ ٧/ ١٤٠٢هـ**".أ.هـ.

---

(١) (٤/ ١٥٣ الشعب).

وخلال مطالعتي في النسخة وجدت آخر تعليق عليها في الصفحة مائتين وأربعة، عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (١).

أخبرني الشيخ ابن قاسم قال: " ولما رأى الشيخ أن مادة الكتاب لا تناسب مَنْ يحضر أوقف القراءة فيه ". أ.هـ .

وكان ذلك سنة أربع وأربعمائة وألف للهجرة .

٥- تفسير الجلالين:

وكان يتولى القراءة ابنه الشيخ أحمد ـ حفظه الله في درس خاص في منزله رحمه الله (٢).

وقد بلغ إلى قريب من نهاية سورة البقرة، وله عليه تعليقات مفيدة (٣).

٦- أبواب التفسير من كتب السنة:

لقد كان رحمه الله يعلق على الكتب التي تقرأ عليه في سائر الفنون، ولا شك أن هذه الكتب كانت تصدر عن الأصلين: الكتاب، والسنة، فكان يتناول بالشرح والتفسير الآيات الكريمات التي ترد في هذه الكتب.

ومن هذه الكتب كتب السنة النبوية التي كانت عناية الشيخ بها

(١) سورة البقرة، الآية (١٢).

(٢) وكانت القراءة بعد أن يدخل الشيخ رحمه الله إلى منزله من آخر اليوم، بمقدار ربع إلى نصف ساعة أسبوعياً.

(٣) حدثني الشيخ أحمد قال: كان الشيخ رحمه الله معجباً بتفسير الجلالين من حيث جودة الاختصار وحسن اختيار الكلمات. أ.هـ.

كبيرة؛ فقد قُرئ عليه الكتب الستة ومسند الإمام أحمد وسنن الدارمي وسنن البيهقي ورياض الصالحين وغيرها(١).

ومن المعلوم أن المحدثين عقدوا أبواباً لتفسير القرآن الكريم في مصنفاتهم الحديثية(٢)، ولقد كان للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تعليقات نافعة، وتحقيقات ماتعة على هذه الكتب .

وأخص بالذكر ـ هنا ـ صحيح البخاري، وتأتي أهميته من جهات:

أولاً: جلالة قدر هذا الكتاب، وسمو منزلته، فهو في الرتبة العليا من الصحة والقبول، وهذا أشهر من أن يحتاج إلى إيضاح.

ثانياً: وفرة المادة التفسيرية في هذا الكتاب المبارك.

ثالثاً: عناية الشيخ الكبيرة به، وقراءته في حلقاته مرات متعاقبة، مع التعليق والبيان لما يحتاج إلى بيان.

وأظن أنه من المفيد جداً لمن أراد مطالعة التفسير من صحيح البخاري عن مراجعة تعليقات الشيخ وترجيحاته واختياراته وتصويباته، والاستفادة منها.

وبحكم أن هذا الكتاب قُرئ مرات متعددة في أماكن مختلفة فإن بعض هذه القراءات لم توثق، ولكن بعضها الآخر قد وثق وقيد بأيدي

---

(١) انظر: جوانب من سيرة الإمام، ص (٤٢٠-٤٢٢).

وهذه الكتب منها ما قُرئ بعضها على الشيخ، ومنها ما أتمت قراءته بل منها ما قُرئ مراراً كصحيح البخاري ومسلم.

(٢) هذا في الغالب، وإلا فإن منهم مَنْ لم يخصص باباً بعينه ـ كما صنع الإمام أحمد في المسند ـ وإنما بث أحاديث التفسير في أثناء كتابه، وهذا عائد لاختلاف مناهج الأئمة في التصنيف.

الكثير من الطلبة، كما أنه قد سجل صوتياً[(١)].

٧- مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية :

وقد قُرئت هذه المقدمة النافعة على سماحته ـ فيما وقفت عليه ـ مرتين، بقراءة اثنين من كبار أهل العلم على النحو التالي:

الأولى: بقراءة فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله، حيث يقول: "كان لي معه رحمه الله ـ الشيخ ابن باز ـ دروس خاصة، حيث كنت آتيه، بعد صلاة الفجر وأدرس عليه، ومن جملة ما درست عليه: مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، كما وأننا في بعض الأحيان كنا نخرج بعد العصر لنخيل بالرياض يسمى:نخيل الريّس، وقرأت عليه رسالة تسمى: "إقناع النفوس بإلحاق عملة الأنواط بعملة الفلوس وهذا كان عام ثلاثة وسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة".أ.هـ[(٢)].

الثانية: بقراءة فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين ـ حفظه الله ـ حيث يقول عن بعض مجالس الشيخ رحمه الله : "رتَّب المشايخ ليلة في الأسبوع عند شيخنا الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب الشثري رحمه الله ـ وكان يحب المشايخ ويحب مجالستهم ـ فكان يفد إليه الشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمه الله والشيخ محمد مختار، وشيخنا الشيخ عبدالعزيز ابن باز في كل ليلة جمعة، فكنت أقرأ عليهم كل يوم حديثاً في صحيح البخاري، فتارة يشرحه [يعني الشيخ ابن باز] وتارة يَكِلُ شرحه إلى الشيخ

---

(١) وقد أخرج الشيخ عبدالله بن مانع الروقي، وهو أحد طلاب الشيخ كتاباً جمع فيه ما قيده من تعليقات الشيخ على صحيح البخاري، وأسماه: الحلل الإبريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري.

(٢) سيرة سماحة الشيخ ابن باز (١/٤٥٦).

عبدالرزاق لما فتح الله تعالى عليه من العلم، ثم نقرأ ـ أيضاً ـ في كتب أخرى؛ في مقدمة التفسير، أو في بعض التفاسير؛ في تفسير ابن كثير، وكان يحبه كثيراً، ويحب إكثار القراءة فيه، استمر على ذلك عدة سنوات، في كل ليلة جمعة مساء الخميس يجلسون في ذلك المجلس"أ.هـ [١].

رابعاً: تعليقاته على كتب التفسير في مكتبته الخاصة:

وقد كان رحمه الله غالباً ما يعلق على الكتب إذا قرئت عليه.

وأكثر هذه التعليقات على تفسير البغوي وتفسير ابن كثير.

وقد اطلعت على تعليقاته التي على نسخه الخاصة من تفسير البغوي، وتفسيرابن كثير، وأقدم تعليق وقفت عليه بتاريخ **٥/ ٣/ ١٣٨٨هـ**.

وأحدث تعليق بتاريخ **٢٤/ ٦/ ١٤١٨هـ**.

وفي هذه التعليقات مع تعليقاته التي في دروسه مادة علمية ثرية جداً ... تفسيرية وحديثية ، ينتفع بها طلاب العلم، والباحثون أيما انتفاع[٢].

خامساً: الفتاوى والإجابات:

وهي إجابات متعددة المصادر في الصحف والمجلات، ومحاضرات الجامع الكبير بالرياض وغيره من المساجد والمواقع،

---

(١) محاضرة مسجلة على الكاسيت بعنوان (سيرة الإمام ابن باز).
وقد سألتُ فضيلته هل أتم قراءة المقدمة؟ فقال: نعم، وقال: إن الشيخ كان يشرح بعض المواضع، وكان يكثر من ضرب الأمثلة.

(٢) ومن كتب التفسير التي كان الشيخ ربما قرأ منها في المنزل: زاد المسير وفتح القدير وتفسير أبي السعود، وإن كان بعضها قرأ فيه مرات يسيرة، وله عدد من التعليقات على زاد المسير، حدثني الشيخ: محمد الموسى – حفظه الله – أنه كتبها بيده.

وفتاوى البرنامج الإذاعي (نورٌ على الدرب). هذا عدا الفتاوى الشخصية والأسئلة الشفهية التي كان يجيب عليها باستمرار.

وكل من كان يعرف الشيخ ﵀ يدرك حجم التراث العلمي الذي تمثله هذه الفتاوى والإجابات ؛ إذ كان ﵀ يجيب على الأسئلة الكثيرة يومياً.

وإذا أردت أن تعرف حجم هذا التراث وضخامته فاعلم أنه قد جُمع للشيخ ﵀ في مشروع (موسوعة ابن باز العلمية) من فتاوى (نورٌ على الدرب) فقط سبعة وستون ملفاً، بما يزيد على عشرة الآف صفحة.

وفي إجاباته ﵀ وفتاواه مادة علمية ثرية تتصل بالتفسير وعلوم القرآن ومعاني الآيات وإيضاح المشكل وبيان الأقوال الراجحة، ورد أقوال المبتدعة في التفسير ، والحكم على المؤلفات ونحو ذلك.

سادساً: المحاضرات والمقالات:

ولقد كان كثير من مقالاته ومحاضراته يصدر عن القرآن الكريم وبيان معانيه والدعوة إلى العمل به والتزام أحكامه والتأدب بآدابه.

وفي كتاب (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة) مادة جيدة في هذا الباب.

كما قامت الباحثة دانة بنت موفي الدوسري بجمع ما تيسر من أقوال الشيخ في التفسير ـ خصوصاً الواردة في هذا المجموع ـ في رسالة علمية مقدمة لقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بالرياض.

سابعاً: مجالسه الخاصة والعامة:

وقد سبق لنا أنه ﵀ كان يعمر المجالس بقراءة القرآن وتفسيره،

وبيان معانيه، وما اشتمل عليه من الأحكام والتوجيهات.

وكان قلَّ أن يجلس في مجلس عام أو خاص أو يدعى إلى وليمة أو نحو ذلك إلا ويأمر أحد تلاميذه بتلاوة آيات من القراءة ثم يشرع في تفسيره وإيضاح معانيها.

وقد سُجل الكثير من هذه المجالس ـ صوتياً ـ في السنوات الأخيرة من حياة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وختاماً أقول:

لئن كان التفسيُر المقاصديُ الإجماليُ، والجانبُ الوعظيُ التوجيهيُ حاضراً في مقالاتِ الشيخِ ومحاضراتهِ وكلماتهِ، فإن الغالبَ على دروس التفسيرِ وتعليقاتِ الكتبِ: التحقيقُ العلميُ، والترجيحُ ، والموازنةُ بين الأقوالِ، وتحقيقُ النصِ التفسيري، والحكمُ على مروياتهِ؛ روايةً ودرايةً.

❊ ❊ ❊

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على خير البريات، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد:

ففي ختام هذا البحث يحسن أن أضع بعض المعالم، وهي كما يلي:

المكانة السامية، والمنزلة الرفيعة التي تبوأها الشيخ ابن باز رحمه الله في العلم.

عناية الشيخ رحمه الله بالقرآن الكريم وتعليمه وتفسيره ، وقد اتضح ذلك من عدة جوانب ومجالات.

رسوخه رحمه الله في علم التفسير، ومعرفته الواسعة بالأقوال والمرويات التفسيرية، وقدرته على نقدها روايةً ودرايةً .

تميز منهجه رحمه الله في تفسير القرآن بالعديد من الخصائص.

كان له رحمه الله جهود عظيمة في تفسير القرآن ؛ تنوعت مظاهرها، وامتد عمرها الزمني .

وأخيراً: فإني أشير إلى بعض التوصيات التي أرى أهميتها:

دراسة منهج الشيخ رحمه الله وهو على قسمين:

١- منهجه في العلم:

(منهجه في تقرير العقيدة، التفسير، الحديث، الفقه، الإفتاء .... الخ).

٢- منهجه في العمل:

(منهجه في التعامل مع ولاة الأمر، في جمع الكلمة، في الدفاع عن عقيدة السلف، في التعامل مع المخالف ... الخ.

دراسة جهوده رحمه الله واختياراته العلمية في العقيدة والتفسير والحديث والفقه ... الخ.

كل هذا في بحوث ورسائل علمية، مع العناية بدقة التوثيق وسلامة العزو، والحرص على جمع ما تفرق من أقواله وآرائه.

ولعل من المفيد أن تعقد ندوة علمية موسعة يشارك فيها العلماء والباحثون بدراسات وبحوث محكمة تتناول ما سبق.

وأخيراً نقول:

سيذكرك العلم الذي كنت نوره ... ويذكرك القول المسدد والفكر
سيذكرك الخير العميم نشرته ... ويذكرك الدرس المبارك والذكر
سيذكرك العُبّاد في صلواتهم ... ويذكرك النساك والزهد والطهر
سيذكرك المستعصمون بدينهم ... وكل إمام ملء راحته جمر
سيذكرك الأيتام كفكفت دمعهم ... وواسيتهم براً فطاب بك البر
سيذكرك المستضعفون جميعهم ... ويذكرك المضطر ما مسَّه ضُرُّ
سيذكرك الإحسان والعدل والهدى ... وتذكرك الجلى إذا حزب الأمر[1]

وفي الختام أسأل الله أن يغفر لشيخنا، وأن يرفع درجته في المهديين، وأن يجزيه خير ما جزى عباده الصالحين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) من قصيدة للشاعر: د. أحمد التويجري. إمام العصر ص(٥١٣).

فهرس المراجع

١- الإنجاز في ترجمة الإمام عبدالعزيز بن باز، عبدالرحمن الرحمة، دار الهجرة، ط. الثانية **١٤٢١**هـ.

٢- الإمام العلّامة الشيخ عبدالعزيز بن باز وأصول منهجه في الفتوى، عبدالرحمن السديس، بحث في مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٨١).

٣- تراجم لتسعة من الأعلام، محمد الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط. الأولى **١٤٢٨**هـ.

٤- تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ت: عبدالعزيز غنيم، وآخرون،دار الشعب، القاهرة، وطبعة أخرى: دار المعرفة، بيروت.

٥- جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ابن جرير الطبري، دار هجر، ط. الأولى.

٦- جامع الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، دار السلام، الرياض، ط. الثانية **١٤٢١**هـ.

٧- الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام، الرياض، ط. الثانية **١٤٢١**هـ.

٨- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩- جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز، رواية الشيخ محمد الموسى، إعداد: محمد الحمد، دار ابن خزيمة، ط. الأولى **١٤٢٢**هـ

١٠- الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء، محمد الموسى، محمد الحمد ، دار ابن خزيمة، الرياض، ط. الأولى ١٤٢٨هـ.

١١- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار السلام، الرياض،ط. الثانية، ١٤٢١هـ .

١٢- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ت: شعيب الأرناؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الرابعة ١٤٠٦هـ .

١٣- سيرة وحياة الشيخ ابن باز، إبراهيم الحازمي .

١٤- الشيخ عبدالعزيز بن باز نموذج من الرعيل الأول، عبدالمحسن العباد ،دار ابن القيم، الدمام، ط. الأولى ١٤٢١هـ .

١٥- صحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار السلام، الرياض، ط. الثانية ١٤٢١هـ .

١٦- عبدالعزيز بن باز عالم فقدته الأمة، محمد الشويعر، ط. الأولى ١٤٢٧هـ.

١٧- علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ .

١٨- كتاب الإمام ابن باز، عبدالعزيز السدحان، دار ابن الأثير، الرياض، ط. الثانية ١٤٢٢هـ .

١٩- اللآلئ السنية في أخبار مفتي عام المملكة العربية السعودية، عبدالكريم المقرن.

٢٠- مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، إعداد: عبدالله الطيار ، أحمد بن باز .

٢١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم، إدارة المساحة العسكرية، القاهرة، **١٤٠٤**هـ .

٢٢- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، جمع: محمد الشويعر، نشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ، ط. الأولى ١٤٠٨هـ .

٢٣- معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، ت: محمد النمر، وآخرون، دار طيبة، الرياض، ط. الأولى **١٤١٤**هـ.

المراجع الصوتية:

٢٤- الإمام ابن باز، حياته في الدلم، الشيخ عبدالرحمن بن جلال.

٢٥- سيرة الإمام ابن باز، الشيخ عبدالله بن جبرين.

اللقاءات التي قام بها الباحث:

٢٦- لقاء مع سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ.

٢٧- لقاء مع الشيخ/ عبدالله بن جبرين رحمه الله.

٢٨- لقاء مع الشيخ/ عبدالرحمن بن جلال.

٢٩- لقاء مع الشيخ/ عبدالعزيز بن ناصر بن باز.

٣٠- لقاء مع الشيخ/ عبدالمحسن العباد.

٣١- لقاء مع الشيخ/ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي.

٣٢- لقاء مع الشيخ/ عبدالعزيز بن إبراهيم بن قاسم.

٣٣- لقاء مع الشيخ/ عبدالعزيز قاري.

٣٤- لقاء مع الشيخ إبراهيم الأخضر القيم.

٣٥- لقاء مع الشيخ/ محمد الموسى.

٣٦- لقاء مع الشيخ أحمد بن عبدالعزيز بن باز.

٣٧- لقاء مع الشيخ/ أحمد بن راشد العرفج.

❊ ❊ ❊

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

المبحث الثالث: